عيسى : قتلت خيراً من ألف فاروقَ ، وقاتل محمد بن عبد الله يومئذ قتالاً عظيماً ، فقتل بيده سبعين رجلاً ، وأمر عيسى حميد بن قحطبة فتقدم في مائة كلهم راجل سواه ، ، فزحفوا حتى بلغوا جداراً دون الخندقَ ، عليه ناسٌ من أصحاب محمد فهدم حميد الحائط ، وانتهى إلى الخندقَ ، ونصب عليه أبواباً ، وعبر هو وأصحابه عليها فجازوا الخندقَ ، وقاتلوا من ورائه أشدّ قتال من بُكرة إلى العصر ، وأمر عيسى أصحابه ، فالقوا الحقائب وغيرها في الخندقِ ، وجعل الأبواب عليها وجازت الخيل فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانصرف محمد قبل الظهر فاغتسل وتحنط ثم رجع فقال له عبد الله بن جعفر : بأبي أنت وأمي والله مالك بما ترى طاقة ، فلو أتيت الحسن بن معاوية بمكة ، فان معه جل أصحابك فقال : لو خرجت لقتل أهل المدينة، والله لا أرجع حتى أقتل أو أقتلَ وأنت مني في سعة فاذهبْ حيث شئت فمشى معه قليلاً ثم رجع عنه وتفرّق عنه جل أصحابه حتى بقي في ثلاثمائة رجلٍ يزيدون قليلاً فقال لجض أصحابه : نحن اليوم بعده أهل بدر، وصلى محمد الظهر والعصر، وكان معه عيسى بن خضير وهو يناشده إلا ذهبت إلى البصرة أو غيرها ، ومحمد يقول : والله لا تبتلون بي مرتين ولكن اذهب أنت حيث شئت فقال ابن خضير : وأين المذهب عنك ؟ ثم مضى فاحرق الديوان الذي فيه أسماء مَنْ بايعه ، وقتل رياح بن عثمان ، وأخاه عباس بن عثمان ، وقتل ابن مسلم بن عقبة المريِ ، ومضى إلى محمد بن القسري وهو محبوس ليقتله ، فعلم به فردم الأبواب دونه فلم يقدر عليه ، ورجع إلى محمد فقاتل بين لدله حتى قُتِلَ .

وتقدم حميد بن قحطبة وتقدم محمد ، فلما صار ينظر مسيل سلع ، عرقب فرسه وعرقب بنو شجاع الخميسيون دوابهم ، ولم يبق أحد الا كسر جفن سيفه ، فقال لهم محمد : قد بايعتموني ولست بارحاً حتى أقتل فَمنْ أحب أن ينصرف فقد أذنت له واشتدّ القتال فهزموا أصحابَ عيسى مرتين وثلاثاً ، وقال يزيد بن معاوية بن عباس بن جعفر: ويل أمه فتحاً لو ع لان له رجال ، فصعد نفر من أصحابِ عيس على جبل سلع ، وانحدروا منه إلى المدينة ، وامرت اسماء بنت حسن بن عبد

الله بن عبيد الله بن عباس بخمار أسود ، فرفع على منارةِ مسجدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحاب محمد : دخلت المدينة فهربوا فقال يزيد : لكل قوم جبل يعصمهم ولنا جبل لا نؤتى إلا منه -يعني سلعاً - وفتح بنو أبي عمر والغفاريون طريقاً في بني غفار لأصحاب عيسى ودخلوا منه

أيضاً ، وجاؤوا من وراء أصحاب محمد ، ونادى محمد حميد بن قحطبة ابرز إليَّ فأنا محمد بن عبد الله فقال حميد قد عرفتك وأنت الشريف ابن الشريف الكريم ابن الكريم ، لا والله لاَ أبرز اليك وبين يدي من هؤلاء الأغمار أحد ، فإذا فرغت منهم فسأبرز اليك ، وجعل حميد يدعو ابن خضير إلى الأمان ، ويشخ به على الموت وابن خضير يحمل على الناس راجلًا لاَ يصغي إلى أمانه ، وهو يأخذه . بين يديه ، فضربه رجل من أصحاب عيسى على إليته ، فحلها فرجع إلى أصحابه فشدها بثوب ، ثم بهاد إلى القتال ، فضربه إنسان على عينه ، فغاص السيف وسقط فابتدروه فقتلوه واحتزوا رأسه وكأنه باذنجانة مفلقة من كثرة الجراح فيه .
فلما قتل تقدم محمد فقاتل على جيفته ، فجعل يهدُّ الناس هداً وكان أشبه الناس
بقتال حمزة ، ولم يزل يقاتل حتى ضربه رجلٌ دون شحمة أذنه اليمنى ، فبرك لركبتيه ، وجعل يذب عن نفسه ويقول : ويحكم ابن نبيكم مُجرحُ مظلومٌ فطعنه ابن قحطبة في صدره فصرعه ، ثم نزل اليه فاحتز رأسه وأتى به عيسى وهولاً يعرف من كثرة الدماء ، وقيل ة إن عيسى اتهم ابن قحطبة -وكان في الخيل - فقال له : ما أراك تبالغ ، فقال له : أتتهمني فوالله لأضربنَّ محمداً حين أراه بالسيف أو أقتل دونه قال : فمر به - وهو مقتول - فضربه ليبر يمينه ، وقيل بل رمى بسهم وهو يقاتل ، فوقف إلى جدار فتحاماه الناس فلما وجد الموت ، تحامل على سيفه فكسره وهو ذو الفقار سيف علي ، وقيل : بل أعطاه رجلاً من التجار كان معه وله عليه أربعمائة دينار وقال : خذه فإنك لا تلقى أحداً من آلِ أبي طالب إلاَّ أخذه وأعطاك .حقك ؛ فلم يزل عنده حتى ولِّي جعفر بن سليمان المدينة ، فاخبر به ، فاخذ السيف منه وأعطاه أربعمائة دينار ، ولم يزل معه حتى أخذه منه المهدي ، ثم صار إلى الهادي ، فجربه على كلب فانقطع السيف ، وقيل : بل بقي إلى أيام الرشيد وكان يتقلده ، وكان به ثماني عشرة فقارة ، ولما أُتِيَ عيسى برأس محمد ، قال لأصحابه ؛ ما تقولون فيه فوقعوا فيه ؟ فقال بعضهم : كذبتم ما لهذا قاتلناه ، ولكنه خالفَ أميرَ المؤمنين ، وشق عصا المسلمين ، وان كان لصواماً قواماً فسكتوا ، فأرسل عيسى الرأس إلى المنصور مع محمد بن أبي الكرام بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي

بن أبي طالب ، وأرسل معه رؤوس بني شجاع ، فأمر

المنصور ، فطَيَّف برأسِ محمد في الكوفة وسيره إلى الأفاقَ ، ولما رأى المنصور رؤوسَ بني شجاع ، قال : هكذا فليكن الناس طلبت محمداً فاشتمل عليه هؤلاء ، ثم نقلوه وانتقلوا معه ، ثم فاتلوا معه حتى قتلوا ، وكان قتل محمد وأصحابه يوم الاثنين بعد العصر لأربع عشرة خلت من شهر رمضان ، وكان المنصور قد بلغه أن عيسى قد هُزم فقال : كلاَّ أين لعب أصحابنا وصبياننا بها على المنابر ، ومشورة النساء ما أتى كذلك بعد ، ثم بلغه أن محمداً هرب فقال : كلاَّ إنا أهل بيت لا نفر فجاءته بعد ذلك الرؤوس ، ولما وصل رم س محمد إلى المنصور ، وكان الحسن بن زيد بن الحسن بن علي عنده ، فلما رأى الرأس ، عَظُم عليه فتجلَّد خرفاً من المنصور وقال لنقيب المنصور : أهو؟ قال : هو فِلذُهم وقال : " لوددت أنا الركانة إلى طاعته ، وانه لم يكن فعل ولا قال ، وإلا فأمُ موسى طالق ، وكانت غاية أيمانه ، ولكنه أراد قتله ، وكانت نفسه أكرم علينا من نفسه ، فبصق بعض الغلمان في وجهه ، فأمر المنصور بأنفه فكسر عقوبةً له أ ولما وردَ الخبرُ بقتل محمدٍ على أخيه إبراهيم بالبصرة كان يوم العيد ، فخرج فصلى بالناس ، ونعاه على المنبر وأظهر الجزع عليه ، وتمثل على المنبر .

أبا المنازل يا خيرَ الفوارس مَنْ يُفجعُ بمثلك في الدنيا فقد فُجعا

الله يعلمُ أني لـو خشيتهمٍ وأوجس القلب من خوفٍ لهم فزعاً

لم يقتلوه ولم أسلِّم أخي أبدا حتى نموتَ جَميعاً أو نعيشَ معاً

ولما قُتِل محمد أرسلَ عيسى ألوية فنصبَ في مواضعَ بالمدينة ونادى مناديه :

"مَنْ دخل تحت لواء منها فهو آمن " ؟

وأخذَ أصحابَ محمد فصلبهم ما بين ثنية الوداع إلى دار عمر بن عبد العزيز صفين ، ووكل بخشبة ابن خضير مَنْ يحفظها فاحتمَلهُ قوم من الليل فواروه سراً ؛ وبقي الآخرون ثلاثاً ، فأمر بهم عيسى فألقوا على مقابر اليهود ، ثم ألقوا بعد ذلك في خندقَ في أصل ذباب

فأرسلت زينب بنت عبد الله أخت محمد وابنة فاطمة إلى عيسى : " انكم قد

قتلتموه وقضيتم حاجتكم منه ، فلو أذنتم لنا في دفنه " فأذن لها فدفن بالبقيع ، وقطع المنصور الميرة في البحر إلى المدينة ثم

أذن فيها المهدي .

وكان فيمن معه من بني هاشم أخوه موسى بن عبد الله ، وحسين ، وعليٍ ابنا
زيد بن علي بن الحسين بن علي ، ولما بلغ المنصور أن ابني زيد أعانا محمداً عليه قال : عجباً لهما قد خرجا عليَّ وقد قَتَلْنا قاتلَ أبيهما كما قتله، وصلبناه كما صلبه ، وأحرقناه كما أحرقه ، وكان معه حمزة بن عبد الله بن محمد بن الحسين ، وعلي ، وزيد ابنا الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب وكان أبوهما مع المنصور ، والحسن ، ويزيد ، وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والقاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر ، والمرجى علي بن جعفر بن إسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر وكان أبوه مع المنصور ، ومن غيرهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن العباس ، ومحمد بن عجلاًن ، وعبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ، أخِذَ أسيراً ، فأتِيَ به المنصور فقال له : أنت الخارج عليَّ ؟ قال : لم أجد إلاَّ ذلك أو الكفر بما أنزل الله على محمد ، وكان معه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة ، وعبد الواحد بن أبي عون مولى الأزد، وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرّمة، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي ، وعبد الحميد بن جعفر ، وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بني سباع ، وإبراهيم ، وإسحاقَ ، وربيعة ، وجعفر ، وعبد الله ، وعطاء، ويعقوب ،وعثمان ، وعبد العزيز بنو عبد الله بن عطاء ، وعيسى بن خضير ، وعثمان بن خضير ، وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، هرب بعد قتل محمد فأتى البصرة ، فأخذ منها وأتِيَ به المنصور فقال له : هيه يا عثمان ، أنت الخارج عليَّ مع محمد قال : بايعته أنم ا وأنت بمكة فوفيت ببيعتي وغدَرْتُ بيعتك قال : يابن اللخناء قال : ذاك من قامت عنه الإماء -يعني المنصور- فأمر به فقُتِلَ .
وكان مع محمد عبد العزيز بن عبيد الله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وأخذ أسيراً فاطلقه المنصور وعبد العزيز بن إبراهيم بن عبدالله بن مطيع ، وعلي بن عبد المطلب بن عبدالله بن حنطب ، وإبراهيم بن جعفر بن مصعب بن الزبير ، وهشام بن عمارة بن الوليد بن عدي بن الخيار ، وعبد الله بن يزيد بن هرمز ، وغيرهم ممن تقدَم ذكرهم .

كان محمدٌ م سمرَ شديدَ السُّمْرة وكـان المنصور يسميه محمماً ، وكـان سميناً
شجاعاً كثيرَ الصوْم والصلاة ، شديدَ القوة ، وكان يخطبُ على المنبر ، فاعترضَ في حَلْقِهِ بَلْغمٌ فتنحنحَ فذهب ثم عاد ، فتنحنح فذهب ثم عاد ، فتنحنح ؟ فنظر فلم ير موضعاً يبصق فيه ،فرمى بنخامته في سقفِ المسجد فالصقها فيه .

وسُئِلَ جعفرُ الصادقِ عن أمرِ محمد فقال :فِتنةٌ يُقَتَلُ فيها محمد وُيقتلُ أخوه لأبيه
وأقَهِ بالعراق وحوافر فرسه في ماء ، فلما قتل محمد قبض عيسى أموال بني الحسن كلها ، وأموال جعفر ، فلقي جعفر المنصور ، فقال له :رُدَ عَلَيّ قطيعتي من أبي زياد قال : إيايَ تكلمُ بهذا والله لأزهقنَّ نفسك قال : فلا تعجل عَليَّ قد بلغت ثلاثاً وستين سنة ، وفيها مات أبى وجدي ، وعلي بن أبي طالب ، وعَلَيَّ كذا وكذا إن رِبْتُكَ بشيء وإن بقيت بعدك ان ربت الذي يقوم بعدك ، فرقَ لَه المنصور ولم يرد عليه قطيعته فردها المهدي على ولده .
وقال محمد لعبد الله بن عامر الأسلمي : تغشانا سحابة فإنْ أمطرتنا ظفرنا وإنْ تجاوزتنا إليهم فانظر إلى دمي عند أحجار الزيت قال : فوالله لقد أظلتنا سحابة فلم تمطرنا ، وتجاوزتنا إلى عيسى وأصحابه ، فظفروا وقتلوا محمداً ، ورأيت دمه عند أحجار الزيت ، وكان قتله يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وكان يلقب المهدي ، والنفس الزكية ، ومما رثُي به هو ، وأخوه قول عبد الله بن مصعب بن ثابت :

- يا صاحبيّ دَعَا المَلامة واعلما أنْ لَسْتُ في هذا بألـوَمَ منكما
- وَقِفَـا بقبـر للنبيّ (ا) فسَلِّما لا بـأسَ أن تَقِفا بـه وُتسلما(2)
- قَبرٌ تضمنَ خيرَ أهلِ زمانِهِ حسبـاً وطيبَ سجيّـةٍ وتكـرُمـا
- رجل نفى بالعدلَ جَوْرَ بلَادنَا وعفا عظيماتِ الأمورِ وأنعمـا
- لم يَجْتَنبْ قصد السبيل ولم يَجر عنـه ولم يفتح بفـاحشـةٍ فمـا

(ا)في الطبري : " ابن النبي " .
(2) في الطبري : " فتسلما " .

لو أعظَمَ الحدثانُ شيئاً قبله بعـد النبيّ به لكنتَ المعـظما
أو كـان أمتعَ بالسلاَمـة قبله أحـداً لكان قصـارُه أن يسلّفـا
ضحّوا بإبراهيمَ خيرَ ضَحيةٍ فتصـرَّمَتْ أيامُـه فتصـرَّمـا(1)
بطلاً يخوضُ بنفسه غمراته لاً طـائشاً رَعَشـاً ولا مُسْتَسْلما
حتى مضَتْ فيه السُّيوفُ ورُبما كانت حُتُوفُهُم السيوفُ ورُبّما
أضحى بنو حَسَن أبيحِ حَرِيمُهُمْ فينـا وأصبَحَ نهبُهم متقسَّمـا
ونسـاؤهم في دورهنَ نوائـحُ سَجعٍ الحمامِ اذا الحمامُ ترنما
يتـوسلون بقتله (2 ؤيـرونـه شَرَفا لهم عند الإمام ومَغْنَمَـا
والله لـو شهـد النبيُ محمـدٌ صلى الالـه على النبيّ وسلمـا
اشـراعَ أمَّتـه الأَسِنـة لابنـه حتى تقطَرَ من ظُبَـاتِهمُ دمـا
حَقـاً لايْقَنَ أنهم قد ضَيعـوا تلك القرابةِ واستحلوا المحرما

ولما قُتِلَ محمدٌ قام عيسى بالمدينة أياماً ثم سار عنها صبح تسع عشرة خلت من رمضان يريد مكة معتمراً ، واستخلف على المدينة كثير بن خضير ، فأقام بها شهراً ، ثم استعمل المنصور عليها عبد الله بن الربيع الحارثي .

ذكر وثوب السودان بالمدينة

وفيها ثار السودان بالمدينة على عاملها عبد الله بن الربيع الحارثي ، فهرب

منهم ، وسبب ذلك ، أن المنصور استعمل عبد الله بن الربيع على المدينة ، وقدمها لخمس بقين من شوال ، فنازع جنده التجار في بعض ما يشترونه منهم ، فشكا ذلك التجار إلى ابن الربيع ، فانتهرهم ، وشتمهم ، فتزايد طمعُ الجند فيهم ، فعدُوا على رجلٍ صيْرفي فنازعوه كيسه ، فاستعان بالناس فخلص ماله منهم ؛ وشكا أهل المدينة ذلك منهم ، فلم ينكره ابن الربيع ، ثم جاء رجل من الجند ، فاشترى من جزار لحماً يوم جمعة ولم يعطه ثمنه ، وشهر عليه السيف فضربه الجزار بشفرة في خاصرته فقتله ، واجتمع الجزارون وتنادى السودان على الجند وهم يروحون إلى الجمعة ، فقتلوهم

(1) في الطبري : " وتصرما " .
(2)في الطبري : " بقتلهم " .

بالعُمْدِ ونفخوا فى بوق لهم فسمعه السودان من العالية والسافلة ، فاقبلوا واجتمعوا، وكان رؤساؤهم ثلاثة نفر . وثيق ، ويعقل ، وزمعة . ولم يزالوا على ذلك من قتل الجند حتى أمسوا ؛ فلما كان الغد قصدوا ابن الربيع فهرب منهم ، وأتى بطن نخل على ليلتين من المدينة فنزل به ، فانتهبوا طعاماً للمنصور ، وزيتاً ، وقصباً ، فباعوا الحمل الدقيق بدرهمين ، وراوية الزيت بأربعة دراهم ، وسار سليمان بن مليح ، ذلك اليوم إلى المنصور فاخبره .

وكان أبو بكر بن ابي سبرة في الحبس قد أخذ مع محمد بن عبد الله فضُرب وحُبس مقيداً ، فلما كان من السودان ما كان ، خرج فى حديده من الحبس ، فأتى المسجدَ فارسلَ إلى محمد بن عمران ، ومحمد بن عبد العزيز ، وغيرهما فاحضرهم عنده فقال : أنشدكم الله وهذه البليَّة التي وقعت فوالله إن تَبُتَتْ علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الأولى إنه لهلاَك البلد ، وأهلِهِ ، والعبيد في السوق باجمعهم فاذهبوا اليهم ، فكلموهم في الرجعة والعود إلى رأيكم فانهم أخرجتهم الحميةُ ، فذهبوا إلى العبيد فكلموهم فقالوا : مرحباً بموالينا ، والله ما قمنا إلاَّ أنفة مما عمل بكم فامرنا اليكم فأقبلوا بهم إلى المسجد فخطبهم ابن ابي سبرة وحثَّهم على الطاعة فتراجعوا ولم يصل الناسُ يومئذ جمعة ، فلما كان وقت العشاء الآخرة ، لم يُجب المؤذنَ أحدٌ إلى الصلاة بهم ، فقدم الأصبغ بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، فلما وقف للصلاَة واستوت الصفوف ، أقبل عليهم بوجهه ونادى بأعلى صوته : " أنا فلاَن ابن فلان أصلي بالناس على طاعة أمير المؤمنين " ؛ ثم يقول ذلك مرتين وثلاثاً ثم تقدم فصلى بهم ؛ فلما كان الغد قال لهم إبن أبي سبرة : انكم قد كان منكم بالأمس ما قد علمتم ونهبتم طعام أمير المؤمنين ، فلاَ يبقين عند أحد منه شيء إلا ردَّه فردوه ، ورجع ابن الربيع من بطن نخل فقطع يد وثيق ، ولمجل ، وغيرهما .

ذكر بناء مدينة بغداد

فيها ابتدأ المنصور في بناءِ مدينة بغداد ، وسبب ذلك أنه كان قد ابتنى الهاشميةَ بنواحي الكوفة ، فلما ثارت الراوندية فيها ، كره سُكناها لذلك ولجوار أهل الكوفة أيضاً ، فانه كان لاَ يأمن أهلها على نفسه ، وكانوا قد أفسدوا جنده ، فخرج بنفسه يرتاد

له موضعاً يسكنه هو وجنده ، فانحدر إلى جرجرايا(1) ثم أصعد إلى الموصل وسار نحو الجبل في طلب منزل يبني به ، وكان قد تخلف بعض جنده بالمدائن لرمد لحقه فسأله الطبيب الذي يعالجه عن سبب حركة المنصور ، فأخبره فقال : إنا نجد في كتاب عندنا أن رجلاً يدعى مقلاصاً يبني مدينة بين دجلة والصراة تدعى الزوراء ، فإذا اسسها وبنى بعضها، أتاه فتق من الحجاز، فقطع بناءها وأصلح ذلك الفتق ، ثم أتاه فتق من البصرة أعظم منه ، فلم يلبث الفتقان أن يلتئما ثم يعود إلى بنائها ، فيتمه ثم يعمر عمراً طويلاً ؛ ويبقى الملك في عقبه ، فقدم ، ذلك الجندي إلى عسكر المنصور وهو بنواحي الجبل فأخبره الخبر فرجع وقال : إني أنا كنت أدعى مقلاصا وأنا صبي ، ثم زال عني ، وسار حتى نزل الدير الذي حذاء قصره المعروف بالخلد ، ودعا بصاحب الدير ، وبالبطريق صاحب رحا البطريق ، وصاحب بغداد ، وصاحب المخرّم ، وصاحب يستان النفس ، وصاحب العتيقة فسألهم من مواضعهم وكيف هي في الحر ، والبرد ، والأمطار ، والوحول ، والبق ، والهوام ، فأخبره كل منهم بما عنده ، ووقع اختيارهم على صاحب بغداد ، فأحضره وشاوره فقال : يا أمير المؤمنين سألتني عن هذه . الأمكنة وما تختار منها ، وإني أرى أن تنزل أربعة طساسيج في الجانب الغربي طسوجين وهما بقطربل (3) ، وبادوريا(3) وفي الجانب الشرقي طسوجين وهما نهر بوقَ ، وكلواذي فيكون بين نخل وقرب الماء وإن أجدب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الأخر العمارات ، وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من الشام ، والرقة ، والغرب في طوائف مصر ، وتجيئك الميرة من الصين ، والهند، والبصرة، وواسط ، وديار بكر ، والروم ، والموصل وغيرها في دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها في تامرا حتى يتصل بالزاب ، فأنت بين أنهار لا يصل اليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة ، فإذا قطعت الجسر وأخربت القنطرة ، لم يصل اليك . ودجلة ، والفرات ، والصراة خنادق هذه المدينة ، وأنت متوسط للبصرة ،

(1) جرجرايا : بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي.

(2) قطربل : بالضم ثم السكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة: اسم قرية بين بغداد وعُكبرا ينسب إليها الخمر.

(3) بادوريا : طسوج من كورة الأستان بالجانب الغربي من بغداد .

والكوفة ، وواسط ، والموصل ، والسواد ، وأنت قريب من البر ، والبحر ، والجبل ، فازداد المنصور عزماً على النزول في ذلك الموضع ، وقيل : إن المنصور لما أراد أن يبني مدينته بغداد ، رأى راهباً فناداه فأجابه فقال : هل تجدون في كتبكم أنه يبنى ههنا مدينة ؟ قال : نعم يبنيها مقلاص قال : فأنا كنت أدعى مقلاصاً في حداثتي قال : فإذاً أنت صاحبها ، فابتدأ المنصور بعملها سنة خمس وأربعين وكتب إلى الشام ، والجبل ، والكوفة ، وواسط والبصرة في معنى انفاذ الصناع والفعلة ، وأمر باختيار قوم من ذوي الفضل ، والعدالة ، والفقه ، وأمر باختيار قوم من ذوي الأمانة ، والمعرفة بالهندسة ، فكان ممن أحضر لذلك الحجاج بن ارطاة، وأبو حنيفة ، وأمر فخُطت المدينة وحُفِرَ الأساس وضُرب اللبنُ وطُبخ الأجرُ ، فكان أول ما ابتدأ به منها أنه أمر بخطها بالرماد ، فدخلها من أبوابها وفصلانها وطاقاتها ورحابها وير مخطوطة بالرماد ، ثم أمر أن يجعل على الرماد حبَ القطن ، ويشعل بالنار ففعلوا ، فنظر اليها وهي تشتعل ففهمها وعرف رسمها ، وأمر أن يحفر الأساس على ذلك الرسم ، ووَّكل بها أربعة من القواد كل فائد بربع ووكل أبا حنيفة بعدِّ الآجر واللبن .

وكان قبل ذلك قد أراد أبا حنيفة أن يتولى القضاء والمظالم ، فلم يجب فحلف المنصور انه لا يقلع عنه أو يعمل له ، فأجابه إلى أن ينظر في عمارة بغداد ، ويعد اللبن ، والآجر بالقصب ، وهو أول من فعل ذلك ، وجعل المنصور عرضَ أساس السور من أسفله خمسين ذراعاً ، ومن أعلاه عشرين ذراعاً ، وجعل في البناء القصب ، والخشب ، ووضع بيده أول لبنةٍ وقال :

يسم الله والحمد لله والأرض لله ، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة لم للمتقين ؛ ثم قال : ابنوا على بركة الله ، فلما بلغ السورُ مقدارَ قامةٍ ، جاء الخبر بظهور محمد بن عبد الله ، فقطع البناء ثم أقام بالكوفة حتى فرغ من حرب محمد ، وأخيه إبراهيم ، ثم رجع إلى بغداد فأتمَّ بناءها، وأقطع فيها القطائعَ لأصحابه .

وكان المنصورُ قد أعدَّ جميع ما يحتاج اليه من بناء المدينة من خشب وساج وغير ذلك ، واستخلف حين يشخص إلى الكوفة على إصلاح ما أعدّ أسلم مولاًه ، فبلغه أن إبراهيم قد هزم عسكرَ المنصور ، فأحرقَ ما كان خلفه عليه المنصور ، فبلغ المنصور ذلك ، فكتب اليه يلومه ، فكتب إليه أسلم يخبره انه خاف أن يظفر بهم إبراهيم

فيأخذه ، فلم يقل له شياً ، وسنذكر كيفية بنائها في سنة ست وأربعين إن شاء الله

ذكر ظهور إبراهيم بن عبد الله بن الحسن أخي محمد

فيها كان ظهور إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهو أخو محمد المقدَّم ذكرهُ ، وكان قبل ظهوره قد طلب أشد الطلب ، فحكت جارية له انه لم تقرَّهم أرض خمس سنين ، مرة بفارس ، ومرة بكرمان ، ومرة بالجبل ، ومرة بالحجاز ، ومرة باليمن ، ومرة بالشام ، ثم انه قدم الموصل وقدمها المنصور في طلبه ، فحكى إبراهيم قال : اضطرني الطلب بالموصل حتى جلست على مائدة المنصور ، ثم خرجت وقد كفَ الطلب ، وكان قوم من أهل العسكـر يتشيعون فكتبوا إلى إبراهيم يسألونه القدوم اليهم ليثبوا بالمنصور ، فقدم عسكر أبي جعفر وهو ببغداد ، وقد خطها وكانت له مرآة ينظر فيها ، فيرى عدوه من صديقه ، فنظر فيها فقال : يا مسيب قد رأيت إبراهيم في عسكري وما في الأرض أعدى لي منه فانظر أي رجل يكـون ، ثم ان المنصور أمر ببناء قنطرة الصراة العتيقة ، فخرج إبراهيم ينظر اليها مع الناس ، فوقعت عليه عين المنصور فجلس إبراهيم وذهب في الناس ، فاتى قاميا فلجأ اليه فاصعده غرفة له ، وجدَّ المنصور في طلبه ، وضع الرصدَ بكل مكان ، فنشب ابراهيم مكانه فقال له صاحبه سفيان بن حيان القمي : قد نزل بنا ما ترى ، ولاً بد من المخاطرة قال :فأنت وذاك ، فاقبل سفيان إلى الربيع فسأله الآذن على المنصور ، فادخله عليه فلما رآه شتمه فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أهلٌ لما تقول غير أني أتيتك تائباً ولك عندي كل ما تحب ، وأنا آتيك بابراهيم بن عبد الله إني قد بلوتهم فلم أجد فيهم خيراً ، فاكتب لي جوازاً ولغلامٍ معي يحملني على البريد ، ووجِّهْ معي جنداً ؛ فكتب له جوازاً ودفع اليه جنداً وقال : هذه الف دينار فاستعنْ بها قال :لا حاجة لي فيها وأخذ منها ثلاثمائة دينار، وأقبل الجند معه ، فدخل البيت وعلى إبراهيم جبة صوف وقباء كأقبية الغلمان ، فصاح به ، فوثب وجعل يأمره وينهاه ، وسار على البريد ، وقيل : لم يركب البريد ، وسارا حتى قدم المدائن ، فمنعه صاحب القنطرة بها ، فدفع جوازه اليه فلما جازها قال له الموكل بالقنطرة : ما هذا غلام وإنه لابراهيم بن عبد الله ، إذهبْ راشداً فأطلقهْما ، فركبا سفينة حتى قدما البصرة ، فجعل يأتي بالجند .

الدار لها بابان فيقعد البعض منهم على أحد البابين ويقول :لا

تبرحوا حتى

آتيكم فيخرج من الباب الأخر ، ويتركهم حتى فرّق لجند عن نفسه وبقي وحده ، وبلغ الخبر سفيان بن معاوية أميرَ البصرة فأرسل اليهم فجمعهم ، وتطلب القمي فأعجزه ، وكان إبراهيم قد قدم الأهواز قبل ذلك واختفى عند الحسن بن خبيب ، وكان محمد بن الحصين يطلبه فقال يوماً : إن أمير المؤمنين كتب إلى يخبرني أنّ المنجمين أخبروه أن إبراهيم نازل بالأهواز في جزيرة بين نهرين ، وقد طلبته في الجزيرة ، وليس هناك وقد عزمت أن أطلبه غداً بالمدينة لعل أمير المؤمنين يعني بقوله : بين نهرين بين دجيل والمسرفان ، فرجع الحسن بن خبيب إلى إبراهيم ، فأخبره وأخرجه إلى ظاهر البلد، ولم يطلبه محمد ذلك اليوم.

فلما كان آخر النهار ، خرج الحسن إلى إبراهيم فادخله ا أجلد ، وهما على حمارين وقت العشاء الآخرة فلقيه اوائل خيل ابن الحصين فنزل إبراهيم عن حماره كأنه يبول ، فسأل ابن الحصين الحسن بن خبيب عن مجيئه فقال نِمْ عند بعض أهلي فمضى وتركه ، ورجع الحسن إلى إبراهيم ، فاركبه وادخله إلى منزله ، فقال له إبراهيم : والله لقد بُلْتُ دماً قال : فاتيت الموضع فرأيته قد بال دماً ، ثم إن إبراهيم قدم البصرة فقيل : قدمها سنة خمس واربعين بعد ظهور اخيه محمد بالمدينة ، وقيل : قدمها سنة ثلاث واربعين ومائة ، وكان الذي أقدمه وتولى قراه في قول بعضهم يحيى بن زياد بن حيان النبطي ، وأنزله في داره في بني ليث ، وقيل : نزل في دار ابي فروة ، ودعا الناس إلى بيعة أخيه ، وكان أول من بايعه نميلة بن مره العبشمي ، وعفو الله بن سفيان ، وعبد الواحد بن زياد ، وعمرو بن سلمة الهجيمي ، وعبد الله بن يحيى بن حصين الرقاشي ، وندبوا الناس فأجابهم المغيرة بن الفزع وأشباه له ، وأجابه أيضاً عيسى بن يونس ، ومعاذ بن معاذ ، وعباد بن العوام ، واسحاق بن يوسف الأزرقَ ، ومعاوية بن هشيم بن بشير ، وجماعة كثيرة من الفقهاء ، وأهل العلم حتى أحصى ديوانه أربعة آلاف ، وشُهِرَ أمرُهُ فقالوا له : لو تحولت إلى وسط البصرة أتاك الناس هم مستريحون فتحول فنزل دار أبي مروان مولى بني سُلَيْم في مقبرة بني يشكر.

وكان سفيان بن معاوية قد مالأ على امره ولما ظهر أخوه محمد ، كتب اليه يأمره بالظهور ، فوجم لذلك واغتمَّ فجعل بعض أصحابه يسهل عليه ذلك وقال له : قد اجتمع لك أمرك فتخرج إلى السجن فتكسره من الليل ، فتصبح وقد اجتمع لك

عالمٌ

من الناس وطابت نفسه .
وكان المنصور بظاهر الكوفة -كما تقدم - في قلة من العساكر وقد أرسل ثلاثة من القواد إلى سفيان بن معاوية بالبصرة مدداً له ليكونوا عوناً له على إبراهيم ان ظهر؛ فلما أراد إبراهيم الظهور أرسل إلى سفيان فأعلمه ، فجمع القواد عنده وظهر إبراهيم أول شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، فغنم دواب أولئك الجند ، وصلى بالناس الصبح في الجامع ، وقصد دار الامارة وبها سفيان متحصناً في جماعة ، فحصره وطلب سفيان منه الأمان ، فأمنه إبراهيم ، ودخل الدار ففرشوا له حصيراً فهبت الريح فقلبته قبل أن يجلس ، فتطيَّرَ الناس بذلك فقال إبراهيم : إنا لا نتطيَّر وجلس عليه مقلوباً ، وحبس القواد، وحبس أيضاً سفيان بن معاوية في القصر وقيَّدهُ بقيدٍ خفيف ليْعلِمَ المنصور أنه محبوس ، وبلغ جعفراً ، ومحمداً ابنيْ سليمان بن علي ظهور إبراهيم . فأتيا في ستمائة رجلٍ ، فأرسل إليهما إبراهيم المضاء بن القاسم الجزري في خمسين رجلاً فهزمهما ، ونادى منادي إبراهيم لاَ يتبع مهزوم ، ولاَ يذفف على جريح ، ومض إبراهيم بنفسه إلى باب زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وإليها ينسب الزينبيون من العباسيين فنادى بالأمان ، وأن لاَ يعرض لهمِ أحد فصفت له البصرة ، ووجد في بيت مالها ألفيْ ألف درهم ، قَوِيَ بذلك وفرض لأصحابه لكـلِّ رجلٍ خمسين خمسين ، فلما استقرت له البصرة أرسل المغيرة إلى الأهواز ، فبلغها في مائتي رجل وكان بها محمد بن الحصين عاملاً للمنصور فخرج اليه في أربعة آلاف فالتقوا فانهزم ابن الحصين ودخل المغيرة الأهواز وقيل : إنما وجَهَ المغيرة بعد مسيره إلى باخمرى(ا) ، وسيرَ إبراهيم إلى فارس عمرو بن شداد ، فقدمها وبها اسماعيل ، وعبد الصمد ابنا . علي بن عبد الله بن عباس ، فبلغهما دنو عمرو وهما باصطخر ، فقصدا داراً بجرد فتحصنا بها فصارت فارس في يدِ عمرو ، وأرسل إبراهيم مروان بن سعيد العجلي في سبعة عشر الفاً إلى واسط وبها هارون بن حميد الأيادي من قبل المنصور ، فملكها العجلي .
وأرسل المنصور لحربه ، عامر بن إسماعيل المسلي في خمسة آلاَف ، وقيل :
في عشرين ألفاً فكانت بينهم وقعات ثم تهادنوا على ترك الحرب حتى ينظروا ما يكون
(1) باخمرا : موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة أقرب

من إبراهيم ، والمنصور ، فلما قُتِلَ إبراهيم هرب مروان بن سعيد عنهما فاختفى حتى مات ، فلم يزل إبراهيم بالبصرة يفرِّقَ العمال والجيوش ، حتى أتاه نعي أخيه محمد قبل عيد الفطر بثلاثة أيام ، فخرج بالناس يوم العيد ، وفيه الانكسار فصلى بهم ، وأخبرهم بقتل محمد ، فازدادوا في قتال المنصور بصيرة ، وأصبح من الغد ، فعسكر واستخلف على البصرة وخلف ابنه حسناً معه .

ذكر مسير إبراهيم وقتله

ثم إن إبراهيم عزم على المسير ، فأشار اصحابه البصريون ، أن تقيم وترسل الجنود ، فيكون اذا انهزم لك جند أمددتهم بغيرهم ، فخيف مكانك واتقاك عدوك ، وجُبيت الأموال وثُبِتَت وطأتك ؛ فقال مَنْ عنده من أهل الكوفة : إن بالكوفة أقواماً لو رأوك ماتوا دونك ، وإن لم يروك قعدت بهم أسباب شتى ، فسار عن البصرة إلى الكوفة ، وكان المنصور لما بلغه ظهور إبراهيم في قلة من العسكر فقال : والله ما أدري كيف أصنع ما في عسكري إلا ألفا رجل ، فرقت جندي مع المهدي بالري ثلاثون ألفاً ، ومع محمد بن الأشعث بافريقية أربعون ألفاً ، والباقون مع عيسى بن موسى ، والله لئن سلمت من هذه لاً يفارق عسكري ثلاثون ألفاً ، ثم كتب إلى عيسى بن موسى يأمره بالعود مسرعاً ، فأتاه الكتاب وقد أحرم بعمرة فتركها وعاده .

وكتب إلى سلم بن قتيبة فقدم عليه من الري فقال له المنصور : اعمد إلى إبراهيم ولاً يروعنَّك جمعه ، فوالله انهما جملا بني هاشم المقتولان فثقْ بما أقول ، وضم اليه غيره من القواد وكتب إلى المهدي يأمره بانفاذ خزيمة بن خازم إلى الأهواز ، فسيَّره في أربعة آلاف قارس فوصلها وقاتل المغيرة فرجع المغيرة إلى البصرة واستباح خزيمة الأهواز ثلاثا ، وتوالت على المنصور الفتوق من البصرة ، والأهواز ، وفارس لم ، وواسط ، والمدائن ، والسواد ، وإلى جانبه أهل الكوفة في مائة ألف مقاتل ينتظرون به صيحة فلما توالت الأخبار عليه بذلك أنشد :

وجعلت نفسي للرمـاح دريئةً إن الرئيسَ لمِثْل ذاك فعولُ

ثم إنه رمى كل ناحية بحجرها ، وبقي المنصور على مصلاًه خمسين يوماً ينام
عليه ، وجلس عليه وعليه جبة ملونة قد اتسخ جيبها لاً غيرها ، ولاً هجر المصلى إلا أنه

كان إذا ظهر للناس لبس السواد ، فإذا فارقهم رجع إلى هيئته ، وأهديت اليه امرأتان من المدينة ، احداهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله ، والأخرى أم الكريم ابنة عبد الله من ولد خالد بن أسَيْد ، فلم ينظر إليهما فقيل له : "انهما قد ساءت ظنونهما " فقال : ليست هذه أيام نساء ولا سبيل إليهما حتى أنظر رأسَ إبراهيم لي أو رأسي له ، قال الحجاج بن قتيبة : لما تتابعت الفتوق على المنصور دخلت مسلماً عليه وقد أتاه خبر البصرة ، والأهواز ، وفارس ، وعساكر إبراهيم قد عظمت . وبالكوفة مائة ألف سيف بازاء عسكره ينتظر صيحة واحدة فيثبون به ، فرأيته أحوذياً مشمراً قد قام إلى ما نزل به من النوائب يعركها فقام بها ولم تقعد به نفسه وإنه كما قال الأول :

نفس عصام سودت عصاما وَعلمته الكر والإقداما
وصيرته ملكاً هماما

ثم وجَّه المنصور إلى إبراهيم عيسى بن موسى في خمسة عشر الفاً ، وعلى مقدمته حميد بن قحطبة في ثلاثة آلاف وقال له : لما ودعه إنَ هؤلاء الخبثاء-يعني المنجمين - يزعمون أنك إذا لاقيت إبراهيم تجول أصحابك جولة حتى تلقاه ، ثم يرجعون اليك وتكون العاقبة لك .
ولما سار إبراهيم عن البصرة مشى ليلته في عسكره سراً فسمع أصوات الطنابير ثم فعل ذلك مرة أخرى فسمعها أيضاً فقال : ما أطمع في نصر عسكر فيه مثل هذا ، وسمع ينشدُ في طريقه أبيات القطامي :

أمورٌ لو يُدبِّرُها حكيمٌ اذن أنهى وهيب ما استطاعا
وَمعْصيةُ الشفيقِ عليك مما يزيدك صره منه استماعا
وخيرُ الأمرِ ما استقبلْت منه وليسَ بأنْ تتبعه التباعا
ولكنَ الأديمَ اذا تفرَّى بلى وتعيبا غلب الصناعا

فعلموا أنه نادم على مسيره ، وكان ديوانه قد أحصى مائة ألف ، وقيل : كان معه في طريقه عشرة آلاف ، وقيل له في طريقه : ليأخذْ غيرَ الوجهِ الذي فيه عيسى ويقصدُ الكوفَة فإنَّ المنصور لاً يقومُ له وينضاف أهلُ الكوفةِ اليه ولاً يبقى للمنصور مرجعٌ دون

حلوان ، فلم يفعل فقيل له ؛ ليبيت عيسى فقال : أكره البيات الا بعد الانذار ، وقام بعض أهل الكوفةِ ليأمرَه بالمسير إليها ليدعوَ اليه الناسَ وقال : م دعوهم سراً ثم أجهر فإذا سمع المنصور الهيعة بأرجاء الكوفة لم يرد وجهه شيء دون حلوان ، فاستشار بشيراً الرحال فقال : لو وثقنا بالذي تقول لكان رأياً ، ولكنا لا نأمن أن تجيئك منهم طائفة فيرسل اليهم المنصور الخيلَ ، فيأخذ البريء ، والصغير ، والمرأة، فيكون ذلك تعرضاً للمأثم فقال الكوفي : كأنكم خرجتم لقتال المنصور وأنتم تتوقـون قتل الضيف ، والمرأة ، والصغير أوَ لمْ يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثُ سراياه ليقاتلَ ويكون نحو هذا ؟ فقال بشير : أولئك كفار وهؤلاء مسلمون ، واتبع إبراهيم رأيه وسار حتى نزل باخمرا وهي من الكوفة على ستة عشر فرسخاً مقابل عيسى بن موسى ، فارسل اليه سلم بن قتيبة ، إنك قد أصحرت ومثلك أنفس به عن الموت ، فخندقْ على نفسك حتى لاً تؤتى إلا من مأتى واحدٍ فإنْ أنتَ لم تفعلْ فقد أغرى أبو جعفر عسكره ،فتخفف في طائفة حتى تأتيه فتأخذ بقفاه ، فدعا إبراهيم أصحابه ، وعرض عليهم ذلك فقالوا : نخندقَ على أنفسنا ونحن الظاهرون عليهم ، لا والله لا نفعل ، قال : فنأتي أبا جعفر قالوا : ولِمَ وهو في أيدينا متى أردناه ؟ فقال إبراهيم للرسول : أتسمع فارجعْ راشداً ، ثم انهم تصافوا . فصفَ إبراهيم أصحابه صفاً واحداً فاشار عليه بعضُ أصحابه بأن يجعلهم كراديسَ ،فإذا انهزم كردوس ، ثبت كردوس فإنَّ الصف إذا انهزم بعضه تداعى سائره ، فقال الباقون : لاَنصف إلاَّ صف أهل الاسلام ، يعني قول الله تعالى :
{ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً }(1) الآية ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، وانهزم حميد بن قحطبة ، وانهزم الناسُ معه ، فعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة فلاَ يلوون عليه ، فاقبل حميد منهزماً فقال له عيسى : الله الله والطاعة فقال : لا طاعةَ في الهزيمة .
ومرَّ الناس فلم يبق مع عيسى إلا نفر يسيرَّ فقيل له : لو تنحيْتَ عن مكانك حتى
تؤب إليك الناس فتكر بهم فقال :لا أزول عن مكاني هذا أبداً حتى أقتلَ أو يفتح الله على يدي ، والله لاَ ينظر أهل بيتي إلى وجهي أبداً ، وقد انهزمت عن عدوهم ، وجعل

يقول لمن يمرُّ به ؛ اقرىء أهلَ بيتي السلام ، وقولوا لهم ؛ لم أجد فداء أفديكم به أعز من نفسي وقد بذلتها دونكم .
فبينا هم على ذلك لا يلوي أحدٌ على أحدٍ إذ أتى جعفر ، ومحمد ابنا سليمان بن
علي من ظهور أصحاب إبراهيم ، ولاً يشعر باقي أصحابه الذين يتبعون المنهزمين حتى نظر بعضهم ، فرأى القتال من ورائهم ، فعطفوا نحوه . ورجع أصحاب المنصور يتبعونهم ، فكانت الهزيمة على أصحاب إبراهيم ، فلولا جعفر ، ومحمد لتمَّت الهزيمة .
وكان من صنع الله للمنصور أنَّ أصحابه لقيهم نفرٌ في طريقهم ، فلم يقدروا على الوثوب ، ولم يجدوا مخاضة ، فعادوا بأجمعهم ، وكان أصحاب إبراهيم قد مخروا الماء ليكون قتالهم من وجه واحدٍ ، فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار ، وثبت إبراهيم في نفر من أصحابه يبلغون ستمائة ، وقيل : أربعمائة وقاتلهم حميد وجعل يرسل بالرؤوس إلى عيسى .
وجاء إبراهيم سهم عائر فوقع في حلقه فنحرَهُ فتنحَّى من موقفه وقال : أنزلوني ، فأنزلوه عن مركبه وهو يقول : { وكان أمر الله قدراً مقدوراً }(1) ؛ أردنا أمراً وأراد الله غيره .
واجتمع عليه أصحابُهُ وخاصتُهُ يحمونه ويقاتلون دونه ، فقال حميد بن قحطبة لأصحابه نشُدُّوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم ، وتعلموا ما اجتمعوا عليه .
فشَدّوا عليهم فقاتلوهم أشدَّ قتالٍ حتى أفرجوهم عن إبراهيم ووصلوا اليه وحزَّوا
رأسه فأتوا به عيسى ، فأراه ابن أبي الكرام الجعفري فقال : نعم هذا رأسه فنزل عيسى إلى الأرض فسجد وبعث برأسه إلى المنصور ، وكان قتله يوم الاثنين لخمس ليالٍ بَقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة ، وكان عمره ثمانياً وأربعين سنة ؛ ومكث منذ خرج إلى أنْ قُتِل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام .
وقيل : كان سبب انهزام أصحابه أنهم لما هزموا أصحاب المنصور وتبعوهم
نادى منادي إبراهيم ألاَّ لاَ تتبعوا مدبراً فرجعوا ، فلما رآهم أصحاب المنصور راجعين ،
(1) سورة الأحزاب 38 .

ظنوهم منهزمين فعطفوا في آثارهم وكانت الهزيمة .
وبلغ المنصور الخبر بهزيمة أصحابه أولًا فعزم على إتيان الري فأتاه نوبخت
المنجِّم وقال : يا أمير المؤمنين الظفرُ لك وسيقتل إبراهيم فلم يقبل منه فبينما هو كذلك إذْ جاءه الخبرُ بقتل إبراهيم فتمثَّلَ.
فألقتْ عصاها واستقر بها النّوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

فاقطع المنصور نوبخت ألفي جُرَيْب بنهر حُويزة ، وحملَ رأسُ إبراهيم إلى المنصور ، فوضعَ بين يديه ، فلما رآه بكى حتى خرجت دموعه على خَدّ إبراهيم ثم قال : أما والله إني كنت لهذا كارهاً ولكنك ابتليت بي ، وابتليت بك .
ثم جلس مجلساً عاماً وأذن للناس ، فكان الداخل يدخل ، فيتناول إبراهيم ،ويسيء القول فيه ويذكر فيه القبيح التماساً لرضا المنصور ، والمنصور متمسكٌ متغيرٌ لونُه ، حتى دخل جعفرُ بن حنظلة الدارمي فوقف فسلَّم ثم قال : أعظمَ الله أجرَكَ يا أمير المؤمنين في ابن عمك ، وغفر له ما فرط فيه من حقَك فاصفرَّ لونُ المنصور وأقبلَ عليه وقال : يا أبا خالد مرحباً ههنا فعلم الناس أن ذلك يرضيه فقالوا مثل قوله ، وقيل : لما وضع الرأس بصق - في وجهه رجلٌ من الحرس فأمرَ به المنصور فضُرِبَ بالعمد فهشمت أنفه ووجهه وضُرِبَ حتى خُمِدَ وأمِرَ به فجرّوا رجله فالقوه خارج الباب .
قيل : نظر المنصور إلى سفيان بن معاوية بعد مدة راكباً فقال : لله العجب كيف
يقتلني ابن الفاعلة ؟ انقض امر إبراهيم رضي الله عنه .

ذكر عدة حوادث

وفيها خرجت الترك ، والخزر بباب الأبواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة . وحج بالناس هذه السنة السري بن عبد الله بن الحرث بن العباس وكان على مكة .
وكان على المدينة عبد الله بن الربيع ، وعلى الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سلم بن قتيبة الباهلي ، وعلى قضائها عبادُ بن منصور ، وعلى مصر يزيد بن حاتم؛ وفيها عزل المنصور مالك بن الهيثم عن الموصل بابنه جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وسيَّر معه حرب بن عبد الله وقو من أكابر قواده ، وهو صاحب الحربية

ببغداد ،وبنى باسفل الموصل قصراً وسكنه ، فهو يُعرف إلى اليوم بقصر حرب ، وفيه وبدَتْ زبيدةُ بنتُ جعفر زوجةِ الرشيد ؛ وعنده يومنا هذا قرية كانت مُلكاً لنا فبنيْنا فيها رباطاً للصوفية وقفنا القرية عليه قد جمعت كثيراً من هذا الكتاب في هذه القرية في دار لنا بها وهي ، من أنزه المواضع وأحسنها.
وأثر القصر باق بها إلى الآن سبحان من لاَ يزول ولاَ تغيّره الدهور ، وفيها مات عمرو بن ميمون بن مهران ، والحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان موته في حبس المنصور ، لأنه أخذه من المدينة كما ذكرناه وهو عم محمد ، وابراهيم ، وفيها مات عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي ، ويحيى بن الحرث الذماري وله سبعون سنة . واسماعيل بن أبي خالد البجلي ، وحبيب بن الشهيد مولى الأزد وكنيته أبو شهيد .

ثم دخلت سنة ست واربعين ومائة
ذكر انتقال المنصور إلى بغداد وكيفية بنائها
وفيها في صفر تحولَ المنصور من مدينة ابن هبيرة إلى بغداد وبنى مدينتها ، وقد ذكرنا في سنة خمس وأربعين ومائة ، السبب الباعثَ للمنصور على بناء مدينة بغداد ونذكر الآن بناءها .
ولما عزم المنصور على بناءِ بغداد ، شاور أصحابه وكان فيهم خالد بن برمك ، فأشار أيضاً بذلك وهو خطّها ، فاستشاره في نقض المدائن . وإيوان كسرى ونقل نقضها إلى بغداد فقال لا أرى ذلك لأنه عَلَمٌ من أعلاَم الاسلام يُستدل به الناظر على أنه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر الدنيا ، وإنما هو على أمردين ، ومع هذا ففيه مصلى علي بن أبي طالب ، قال المنصور لا أبيت يا خالد إلاَّ بالميل إلى اصحابك العجم ، وأمر بنقض القصر الأبيض ، فنقضَتْ ناحيةٌ منه وحملَ نقضهُ فنظر فكان مقدار ما يلزمهم له أكثر من ثمن الجديد ، فدعا خالد بن برمك فأعلمه ذلك فقال : يا أمير المؤمنين قد كنت أرى أن لاَ تفعل ، فأما إذ فعلت فإني أرى أن تهدم لئلاَ يقال : إنك عجزْتَ عن هدم ما بناه غيرك.
فاعرض عنه ، وترك هدمَهُ ، ونقلَ أبواب مدينة واسط فجعلها على بغداد، وباباً
جيء به من الشام ، وباباً آخر جيء به من الكوفة ، كان عمله خالد بن عبد الله القسري ، وجعل المدينة مدوّرة لئلاَ يكون بعض الناس أقرب إلى السلطان من بعض؛ وعمل لها سورين السور الداخل أعلى من الخارج ، وبنى قصره في وسطها والمسجد الجامع بجانب القصر، وكان الحجاج بن أرطاة هو الذي خط المسجد ، وقِبْلَتُهُ غير مستقيمة يحتاج المصلي أن ينحرف إلى باب البصرة لأنه وُضِعَ بعد القصر .

وكان القصر غير مستقيم على القبلة، وكان اللبن الذي يبنَى به ذراع في ذراع
ووزن بعضها لما نقض ، فكان وزن لبنة منه مائة رطل وستة عشر رطلًا .
وكانت مقاصير جماعة من قواد المنصور وكتابه ، تشرعُ أبوابها إلى رحبة الجامع ، فطلب إليه عمه عيسى بن علي أن يأذنَ له في الركوب من باب الرحبة إلى القصر لضعفه ، فلم يأذن له قال : فاحسبني راوية فأمر الناس بإخراج أبوابهم من الرحبة إلى فصلان الطافات .
وكانت الأسواقَ في المدينة فجاء رسول لملك الروم ، فأمر الربيع فطاف به في المدينة ، فقال كيف رأيت ؟ قال : رأيت بناء حسناً إلاَّ أني رأيت أعداءك معك وهم السوقة؛ فلما عاد الرسول عنه أمر باخراجهم إلى ناحية الكرخ ، وقيل : إنما أخرجهم لأن الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها وربما كان فيهم الجاسوس .
وقيل : إنَّ المنصور كان يتبع من خرج مع إبراهيم بن عبد الله وكان أبو زكريا
يحيى بن عبد الله محتسب بغداد له مع إبراهيم ميل ، فجمع جماعةً من السَّفَلةِ فشغبوا على المنصور ، فسكنهم وأخذ أبا زكريا فقتله ، وأخرج الأسواقَ ، فكلم في بقال فأمر أن يجعل في كل ربع بقال يبيع البقل والخل حسب ، وجعل الطريق أربعين ذراعاً . وكان مقدار النفقة على بنائها وبناء المسجد والقصر والأسواقَ والفصلان والخنادقَ وأبوابها ، أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهماً ؛ وكان الأستاذ من البنائين يعمل يومه بقيراط فضة ، والروزكاري بحبتين ، وحاسب القواد عند الفراغ منها فألزم كلًا منهم بما بقي عنده فأخذه حتى أنَ خالد بن الصلت بقي عليه خمسة عشر درهماً فحبسه وأخذها منه .

ذكر خروج العلاء بالأندلس

وفيها سار العلاء بن مغيث اليحصبي من أفريقية إلى مدينة بناحية من الأندلس ،
ولبس السواد ، وقام بالدولة العباسية ، وخطب للمنصور ، واجتمع إليه خلق كثير ، فخرج إليه الأمير عبد الرحمن الأموي ، فالتقيا بنواحي أشبيلية ، ثم تحاربا أياماً فانهزم العلاَّء وأصحابه ، وقُتِلَ منهم في المعركة سبعة آلاَف وقُتِلَ العلاء ، وأمر بعض التجار بحمل رأسه ورؤوس جماعة من مشاهير أصحابه إلى

القيروان ، والقائها بالسوقَ

سراً ففعل ذلك ، ثم حُمِل منها شيءٌ إلى مكة فوصلت وكان بها المنصور وكان مع الرؤوس لواء أسود، وكتاب كتبه المنصور للعلاء.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عُزِلَ سلم بن قتيبة عن البصرة ، وكان سبب عزلِهِ أنَّ المنصور كتب إليه يأمره بهدم دُورِ مَنْ خرجَ مع إبراهيم وبِعَقْرِ نَخْلِهم .

فكتب سلم بأي ذلك أبدأ بالدور أم النخل ؟ فانكر المنصور ذلك عليه وعَزَله واستعمل محمد بن سليمان فعاث بالبصرة وهدم دار أبي مروان ، ودار عون بن مالك ، ودار عبد الواحد بن زياد وغيرهم .

وغزا الصائفة هذه السنة جعفر بن حنظلة البهراني ، وفيها عُزل عن المدينة

عبد الله بن الربيع الحارثي وولي مكانه جعفر بن سليمان ؛ فقدِمَها في ربيع الأول ، وفيها عزلَ عن مكة السري بن عبد الله وَوَليها عبد الصمد بن علي .

وحج بالناس هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم الامام . وفيها مات هشام بن

عروة بن الزبير، وقيل : سنة سبع وأربعين في شعبان ، وعوف الاعرابي ، وطلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي الكوفي ، وفيها غزا مالك بن عبد الله الخثعمي الذي يقال له : مالك الصوائف –وهو من أهل فلسطين - بلاَد الروم فغنم غنائم كثيرة ، ثم قفل فلما كان من درب الحدث على خمسة عشر ميلاً بموضع يدعى الرهوة ،نزل بها ثلاثاً ، وباع الغنائم ، وقسم سهام الغنيمة فسُميت تلك الرهوة رهوة مالك ، وفيها تُوفي ابن السائب الكلبي النسابة.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

ذكر قتل حرب بن عبد الله

فيها أغار استرخان الخوارزمي في جمع من الترك على المسلمين بناحية ارمينية وسبى من المسلمين وأهل الذمة خلقاً ودخلوا تفيس ، وكان حرب مقيماً بالموصل في ألفيْن من الجند لمكان الخوارج الذين بالجزيرة ، وسير المنصور إلى محاربة الترك جبرائيل بن يحيى ، وحرب بن عبد الله ، فقاتلوهم فهُزِمَ جبرائيل وقتل حرب وقُتِلَ من أصحاب جبرائيل خلقٌ كثيرٌ .

ذكر البيعة للمهدي ، وخلع عيسى بن موسى

وفيها خُلِع عيسى بن موسى بن محمد بن علي من ولاَية العهد، وبويع للمهدي محمد بن المنصور ، وقد اختلف في السبب الذي خُلِعَ لأجله نفسه فقيل : إنّ عيسى لم يزل على ولاَية العهد وامارة الكوفة من أيام السفاح إلى الآن ، فلما كبر المهدي وعزم المنصور على البيعة له ، كلم عيسى بن موسى في ذلك وكان يكرِمُه ويُجْلِسُه عن يمينه ، ويجلس المهدي عن يساره ؛ فلما قال له المنصور في معنى خلع نفسه وتقديم ا المهدي عليه أبى وقال : يا أمير المؤمنين كيف بالأيمان عليّ وعلى المسلمين من العتق ، والطلاقَ ، وغير ذلك ؟ ليس إلى الخلع سبيل .

فتغير المنصور عليه وباعده بعض المباعدة وصار يأذن للمهدي قبله ، وكان يجلس عن يمينه في مجلس عيسى، ثم يؤذن لعيسى، فيدخل فيجلس إلى جانب المهدي ، ولم يجلس عن يسار المنصور، فاغتاظ منه ، ثم صار يأذن للمهدي ولعمه عيسى بن علي ، ثم لعبد الصمد بن علي ثم عيسى بن موسى ، وربما قدَّم وأخر إلا أنه يبدأ بالإِذن للمهدي على كل حال .

وتوهم عيسى أنه يقدّم اذنهم لحاجة له اليهم وعيسى صامت لاً يشكو منه
شيئاً ؛ ثم صار حال عيسى إلى أعظم من ذلك؛ فكان يكون في المجلس معه بعض وُلْده فيسمع الحفر في أصل الحائط ، وينثر عليه التراب ، وينظر إلى الخشبة من السقف ، قد حفر عن أحد طرفيها لتقلع فيسقط التراب على قلنسوته وثيابه ، فيأمر مَنْ معه من وُلْدِه بالتحول ، ويقوم هو يصلي ثم يؤذن له فيدخل بهيئته والتراب على رأسه وثيابه لاً ينفضه فيقول له المنصور : يا عيسى ما يدخل على أحد بمثل هيئتك من كثرة الغبار والتراب ؛ أفَكلَّ هذا من الشارع ؟ فيقول : أحسب ذلك يا أمير المؤمنين ولاً يشكو شيئاً.
وكان المنصور يرسل إليه عمه عيسى بن علي في ذلك فكان عيسى بن موسى لا يُؤثرُهُ ويتهمه فقيل : ان المنصور أمر أن يسقي عيسى بن موسى بعض ما يتلفه ، فوجد الماء في بطنه فاستأذن في العود إلى بيته بالكوفة، فأذن له فمرض من ذلك واشتد مرضه ثم عوفي بعد أن أشْفِيَ .
وقال عيسى بن علي للمنصور: إن ابن موسى انما يتربَصُ بالخلاَفة لاًبنه موسى
فابنه الذي يمنعه فقال له (ا): خوفه وتَهدب ، فكلمه عيسى بن علي في ذلك وخوَفه فخاف عيسى بن موسى وأتى العباس بن محمد فقال : يا عم إني أرى ما يُسئِمُ أبي من إخراج هذا الأمر من عُنُقِهِ وهو يؤذى بصنوف الأذى بالمكروه فهو يهدد مرة، ويؤخر إذنه مرة، ويهدِمُ عليه الحيطانَ مرةً ، وتدلقُ إليه الحتوف مرة ، وأبي لا يعطي على ذلك شيئاً ولاً يكون ذلك أبداً؛ ولكن ههنا طريق لعله يعطي عليها وإلا فلاً، قال : وما هو؟ قال : يقبل عليه أمير المؤمنين وأنا شاهد فيقول له : إني أعلم إنك لا تبخل بهذا الأمر لنفسك لكبر سنك ، وأنه لاً تطول مدتك فيه وإنما تبخل به لاًبنك أفتراني أدعُ ابنك يبقى بعدك حتى يلي على ابني ؟ كلاً والله لا يكون ذلك أبداً ولأبثنَ على ابنك وأنت تنظر حتى ييأس منه ؛ فإن فعل ذلك فلعله أن يجيب إلى ما يراد منه ، فجاء العباس إلى المنصور وأخبره بذلك ، فلما اجتمعوا عنده قال ذلك .
وكان عيسى بن علي حاضراً فقام ليبول –فأمر عيسى بن موسى ابنه موسى ليقوم
(1)أي فقال المنصور لعيسى بن علي .

معه يجمع عليه ثيابه ، فقام معه فقال له عيسى بن علي : بأبي أنت وبابي أب وبدك والله إني لأعلم أنه لا خيْرَ في هذا الأمر بعدكما ، وأنكما لأحقَّ به ، ولكن المرء مغرى بما تعجل .
فقال موسى في نفسه : أمكنني هذا والله من مقاتله وهو الذي يغري بأبي ، والله
لأقتلنَهُ ،فلما رجعا قال موسى لأبيه ذلك سراً فاستأذنه في أن يقول للمنصور ما سمع منه فقال له أبوه : إن لفذا رأياً ومذهباً أيأتمنك عمك على مقالةٍ أراد أن يسرك بها فجعلتها سبباً لمكروهه لاً يسمعنَ هذا أحدُ ، اِرجعْ إلى مكانك .
فلما رجِعَ إلى مكانه أمرَ المنصور الربيعَ فقام إلى موسى فخَنَقَهُ بحمائِلِه وموسى
يصيحُ : " الله الله في دمي يا أميرِ المؤمنين " ، وما يبالي عيسى أن تقتلني وله بضة عشر ذكراً والمنصور يقول : يا ربيع أزهقْ نفسه ؛ والربيع يوهم أنه يريد تَلْفَه وهو يُرفِقُ به وموسى يصيح .
فلما رأى ذلك أبوه قال : والله يا أمير المؤمنين ما كنت أظن أن الأمر يبلغ منك هذا كله ، فاكففْ عنه فها أنا ذا أشهدك أن نسائي طوالق ومماليكي أحرار وما أملِكُ في سبيلِ الله تصرفَ ذلك فيمن رأيت يا أمير المؤمنين ، وهذه يدي بالبيعة للمهدي ؛ فبايعه للمهدي ثم جعل عيسى بن موسى بعد المهدي ، فقال بعض أهل الكوفة : هذا الذي كان غداً فصار بعد غدٍ ، وقيلَ : إنَ المنصور وضعَ الجندَ وكانوا يسمعون عيسى بن موسى ما يكره ، فشكا ذلك من فعلهم ، فنهاهم المنصور عنه ، وكـانوا يكفُّون ثم يعودون ، ثم أنهما تكاتبا مكاتباتٍ أغضبتِ المنصور .
وعاد الجند معه لأشدّ ما كانوا ، منهم أسد بن المُرزُبان ، وعقبة بن سلم ، ونصر بن حرب بن عبـد الله وغيرهم فكـانوا يمنعونه من الدخول عليه ويسمعونه فشكاهم إلى المنصور فقال له : يا بن أخي أنا والله أخافهم عليك وعلى نفسي ، فإنهم يحبون هذا الفتى ، فلو قدمته بين يديك لكفّوا، فاجاب عيسى إلى ذلك ، وقيل : إن المنصور استشار خالدَ بن برمكٍ في ذلك ، وبعثه إلى عيسى فاخذ معه ثلاثين من كبار شيعة المنصور ممن يختارهم ، وقال لعيسى في أمر البيعة ، فامتنع .
فرجعوا إلى المنصور وشهدوا على عيسى أنه خلع نفسه فبايع للمهدي ، وجاء

عيسى فانكر ذلك فلم يسمعْ منه ، وشكر لخالدِ صنيعه ، وقيل : بل اشترى المنصور منه ذلك بمال قدرُه أحدَ عشرَ ألفَ ألف درهمٍ له ولأولاده وأشهد على نفسه بالخلع ، وكانت مدة ولاية عيسى بن موسى الكوفة ثلاث عشرة سنة، وعزله المنصور واستعمل محمد بن سليمان بن عليٍّ عليها ليؤذي عيسى ويستخف به فلم يفعل ولم يزل معظّماً له مبجّلاً.

ذكرُ موتِ عبدِ الله بنِ علي

وكانِ المنصورُ قد أحضرَ عيسى بن موسى بعد أن خَلَعَ نفسَه وسلّم إليه عمه عبد الله بن علي ، وأمره بقتله وقال له : إن الخلافة صائرةٌ إليك بعد المهدي ؛ فاضرب عنقه وإياك أن تضعفَ فتنقضَ على أمري الذي دبرتَهُ ثم مض إلى مكة وكتب إلى عيسى من الطريق يستعلم منه ما فعل في الأمر الذي أمره ، فكتب عيسى في الجواب : " قد أنفذْتُ ما أمرت به فلم يشك أنه قتله " .

وكان عيسى حين أخذ عبد الله من عند المنصور ، دعا كاتبه يُونسَ بنَ فروة ،

وأخبرَهُ الخبرَ فقال : أراد أن تقتله ثم يقتلك ، لأنه أمر بقتله سِراً ثم يدعيه عليك علانية ، فلاَ تقتلْهُ ولا تدفعْهُ إليه سراً أبداً واكتمْ أمرَهُ ، ففعل ذلك عيسى .

فلما قدم المنصور ، وضعَ على أعمامه مَنْ يحركهم على الشفاعة في أخيهم

عبد الله ففعلوا وشفعوا فشفعهم وقال لعيسى : إني كنت دفعت إليك عمي وعمك عبد الله ليكون في منزلك ، وقد كلمني عمومتك فيه ، وقد صفحت عنه ، فأتنا به ، قال: يا أمير المؤمنين ألمْ تأمرني بقتله فقتلته ؟ قال : ما أمرتك قال : بلى أمرتني قال : ما أمرتك إلا بحبسه وقد كذبت ، ثم قال المنصور لعمومته : إن هذا قد أقر لكم بقتل أخيكم قالوا : فادفعه إلينا نقيده به؛ فسلمه إليهم وخرجوا به إلى الرحبة ، واجتمع الناسُ وشهرَ الأمر، وقام أحدُهم ليقتلَهُ ، فقال له عيسى : أفاعل أنت ؟ قال : إي والله قال : ردوني إلى أمير المؤمنين فردوه إليه فقال له : إنما أردت بقتله أن تقتلني ، هذا عمك حي سوي قال : ائتنا به؛ فأتاه به قال : يدخل حتى أرى رأي ثم انصرفوا ، ثم أمر به فجعل في بيتٍ أساسُهُ ملخ ، وأجرى الماء في أساسه ، فسقط عليه فمات ، فدفن في مقابر بابِ الشام ، فكان أول من دُفِنَ فيها وكان عمره اثنتين وخمسين سنةً .

قيل : ركب المنصور يوماً ومعه ابن عياش المنتوف فقال له المنصور : تعرف
ثلاثة خلفاء أسماؤهم على العين ، قتلت ثلاثة خوارج مبدأ أسمائهم على العين قال لا أعرف الا ما يقول العامة : إنَ علياً قتلَ عثمان وكذبوا ، وعبد الملك قتلَ عبد الرحمن بن الأشعث ، وعبد الله بن الزبير قتل عمراً بن سعيد، وعبد الله بن علي سقط عليه البيت ، فقال المنصور : إذا سقط عليه فما ذنبي أنا ؟ قال : ما قلت إن لك ذنباً قوله ابن الزبير قتل عمراً بن سعيد ليس بصحيحٍ ، إنما قتلَهُ عبد الملك عياش بالياء المثناة من تحت والشين المعجمة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وليَ المنصور محمداً إبنَ أخيه أبي العباس السفاح البصرة فاستعفى منها ، فاعفاه فانصرف إلى بغداد ، واستخلف بها نخبةَ بنَ سالم ، فاقرَّه عليها ، فلما رجع إلى بغداد مات بها ؛ وحج بالناس هذه السنة المنصور ، وكان عامله على مكة؛ والطائف عمه عبد الصمد بن علي ، وعلى المدينة جعفر بن سليمان ، وعلى مصر يزيد بن حاتم المهلبي ، وفيها أغزى عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس ، مولاه بدراً، وتمام بن علقمة طليطلة، وبها هاشم بن عذزة وضيقا عليه ثم أسراه هو، وحياة بن الوليد اليحصبي ، وعثمان بن حمزة بن عُبَيْد الله بن عمر بن الخطاب وأتيا بهم إلى عبد الرحمن في جباب صوف ، وقد حُلِقَتْ رؤوسهم ولحاهُم وقد اركِبوا الحميرَ وهم في السلاسل ، ثم صُلِبُوا بقرطبة، وفيها قَدِمَ رسولُ عبد الرحمن الذي أرسله إلى الشام في إحضار ولده الأكبر سليمان ، فحضر وسليمان معه ، وكان قد وُبدَ لعبد الرحمن بالأندلس وَلَدُه هشام فقدمه الأمير عبد الرحمن على سليمان ، فحصل بينهما حقدّ وغِل أوجبا ما نذكره فيما بعد، وفيها تناثرت النجوم ، وفيها مات أشعث بن عبد الملك الحمراني البصري ، وهشام بن حسان مولى لِعَتِيك ، وقيل : مات سنة ثمان وأربعين ، وعبد الرحمن بن زبيد بن الحرث اليامي أبو الأشعث الكوفي . .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة
ذكر خروج حسان بن مجالد
وفيها خرج حسان بن مجالد بن يحيى بن مالك بن الأجدع الهمداني ؛ ومالك
هذا هو أخو مسروقَ بن الاجدع .
وكان خروجه بنواحي الموصل بقرية تسمى بافخارى ،قريب من الموصل على دجلة، فخرج اليه عسكر الموصل وعليها الصقر بن نجدة -وكان قد وليها بعد حرب بن عبد الله - فالتقوا ، واقتتلوا ، وانهزم عسكر الموصل إلى الجسر ، وأحرقَ الخوارجُ أصحاب حسان السوقَ هناك ونهبوه ، ثم ان حسان سار إلى الرقة ، ومنها إلى البحر ، ودخل إلى بلد السند؛ وكانت الخوارج من أهل عمان يدخلونهم ويدعونهم فاستأذنهم في المسير إليهم فلم يجيبوه ، فعاد إلى الموصل فخرج إليه الصقر أيضاً ، والحسن بن صالح بن حسان الهمداني ، وبلال القيسي فالتقوا فانهزم الصقرُ وأسِرَ الحسن بن صالح ، وبلال؛ فقَتَلَ حسانُ بلالاً واستبقى الحسنَ لأنه من همدان ، ففارقه بعض أصحابه لهذا .
وكان حسان قد أخذ رأي الخوارج عن خاله حفص بن أشيم ؛ وكان من علماء الخوارج وفقهائهم ،ولما بلغ المنصور خروج حسان قال : خارجي من همدان قالوا : إنه ابن أخت حفص بن أشيم فقال : فمن هناك ، وإنما أنكر المنصور ذلك لأن عامة همدان شيعةٌ لعلي ، وعزم المنصور على انفاذ الجيوش إلى الموصل والفتك بأهلها فاحضرَ أبا حنيفة ، وابن أبي ليلى ، وابن شبرمة وقال لهم : إن أهل الموصل شرطوا لي أنهم لا يخرجون علي أن فعلوا حلتْ دماؤهم وأموالهم ، وقد خرجوا فسكت أبو حنيفة وتكلم الرجلان وقالا : رعيتك فإن عفوْتَ فأهلُ ذلك أنتَ ، وإنْ عاقبْتَ فيما يستحقون ، فقال لأبي حنيفة : أراك سكت يا شيخ فقال : يا أمير المؤمنين أباحوك مالا يملكون

أرأيت لو أن أمرأة أباحتْ فرجها بغيرِ عقدِ نكاح وملك يمين أكان يجوز أن تُوطأ؟ قال : لاَ؟ وكف عن أهل الموصل ، وأمر أبا حنيفة وصاحبيه بالعود إلى الكوفة .

ذكر استعمال خالد بن برمك

وفيها استعمل المنصور على الموصل خالد بن برمك ، وسببُ ذلك أنه بَلَغَهُ
انتشارُ الأكرادِ بولاَيتها وإفسادهم فقال : من لها ؟ فقالوا : المسيب بن زهير، فأشار عمارة بن غمرة بخالد بن برمك ، فولاَه وسيره إليها وأحسَنَ إلن الناس ، وقهر المفسدين وكفَّهم ، وهابَهُ أهلُ البلدِ هيبةً شديدةً مع إحسانه إليهم ، وفيها وُبدَ الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك لسبع بقين من ذي الحجة قبل أن يولدَ الرشيدُ ابن المهدي بسبعة أيام ، فارضعته الخيزران أم الرشيد بلبن ابنها ، فكان الفضل بن يحيى أخا الرشيد من الرضاعة ، ولذلك يقول سلم الخاسر :

أصبح الفضلُ والخليفـةُ هارون رضيعي لبـان خيـر النسـاء

وقال أبو الجنوب :

كفى لـك فضلاً أن أفضـل حـرةً غـذتك بثـدي والخليفـة واحـد

ذكر ولاية الأغلب بن سالم أفريقية

لما بلغ المنصور خروج محمد بن الأشعث من أفريقية ، بعث إلى الأغلب بن
سالم بن عقال بن خفاجة التميمي عهداً بولاَية أفريقية ، وكان هذا الأغلب ممن قام مع أبي مسلم الخراساني ، وقدم أفريقية مع محمد بن الأشعث ، فلما أتاه العهدُ قَدِمَ القيروان في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين ومائة ، وأخرج جماعةً من قُواد المضرية وسَكَن الناس ، وخرج عليه أبو قرة في جمع كثيرٍ من البربر ؛ فسار إليه الأغلب ، فهرب أبو قرة من غيرِ قتالٍ ، وسار الأغلَبُ يريد طنجة ، فاشتد ذلك على الجند وكرهوا المسير ، وتسلّلوا عنه إلى القيروان ، فلم يبق معه إلاّ نفرٌ يسير.
وكان الحسنُ بنُ حرب الكندي بمدينة تونس ، وكاتب الجند، ودعاهم إلى نفسه
فأجابوه ، فسار حتى دخلَ القيروان من غير مانع ، وبلغ الأغلب الخبرَ، فعاد مجداً فقال له بعض أصحابه : ليس من الرأي أن تَعْدل إلى لقاء العدو في هذه العدة القليلة ،

ولكن الرأي أنْ تعدلَ إلى قابسَ فان أكثر مَنْ معه يجيءُ إليك لأنهم إنما كَرِهوا المسير إلى طنجة لا غير ، وتقوى بهم وتقاتل عدوك .
ففعل ذلك وكثر جمعه وسار إلى الحسن بن حرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمَ الحسن وقُتِلَ من أصحابه جمعٌ كثير ، ومض الحسن إلى تونسَ في جمادى الآخرة سنة خمسين ومائة ، ودخل الأغلب القيروانَ ، وحشد الحسن وجمع فصار في عدّة عظيمة فقصد الأغلب ، فخرج إليه الأغلب من القيروان ، فالتقوا واقتتلوا ،فأصاب الأغلب سَهْمَ فقتله ، وثبت أصحابه فتقدم عليهم المخارق بن غفار ، فحمل المخارقَ على الحسن ،وكان في ميمنة الأغلب - فهزمه فمض منهزماً إلى تونس في شعبان سنة خمسين ومائة .
ووليَ المخارقَ أفريقية في رمضان ووجه الخيل في طلب الحسن فهرب الحسن
من تونس إلى كتامة فأقام شهرين ثم رجع إلى تونسَ فخرج إليه مَنْ بها من الجند فقتلوه ، وقد قيل : إن الحسن قُتِلَ بعد قَتْلِ الأغلبِ ، لأن أصحاب الأغلب ثبتوا بعد قتله في المعركة ، فقتَل الحسن بن حرب أيضاً وولَّى أصحابه منهزمين وصُلِبَ الحسن ودُفِنَ الأغلبُ وشتي الشهيد ، وكانت هذه الوقعة في شعبان سنة خمسين ومائة .

ذكر الفتن بالأندلس

في هذه السنة خرج سعيد اليحصبي المعروف بالمطري بالأندلس بمدينة لبلة ، وسبب ذلك أنه سكر يوماً فتذكر مَنْ قُتِلَ من أصحابه اليمانية مع العلاء وقد ذكرناه فعقد لواء ، فلما صحا رآه معقوداً فسأل عنه ، فأخبر به فأراد حله ثم قال ؛ ما كنت أعقد لواء ثم أحله بغير شيء وشرع في الخلاف ، فاجتمعت اليمانية إليه ، وقصد إشبيلية وتغلّبَ عليها ، وكَثُرَ جَمْعُه ، فبادره عبد الرحمن صاحبُ الأندلس في جموعه ، فامتنع المطري في قلعة زعواقَ لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول فحصره عبد الرحمن فيها وضيق عليه ومنع أهل الخلاف من الوصول إليه ، وكان قد وافقه على الخلاف غيَّاث بن علقمة اللخمي – وكان بمدينة شدونة – وقد انضاف إليه جماعة من رؤساء القبائل ، يريدون إمداد المطري وهم في جَمْع كل كثير، فلما سمعَ عبدُ الرحمن ذلك ، سير إليهم بدراً مولاه في جيش ، فحالَ بينهم وبين الوصول إلى المطري فطال الحصارُ عليه ، وقتَتْ رجاله

بالقتل ، ففارقه بعضُهم ، فخرج يوماً من القلعة ، وقاتل فقُتِلَ وخمِلَ رأسُهُ إلى عبد الرحمن .
فَقَدِمَ أهلَ القلعة عليهم خليفةُ ابن مروان فدام الحصارُ عليهم ، فأرسل أهلُها يطلبون الأمانَ من عبد الرحمن ليسلموا إليه خليفة ، فأجابهم إلى ذلك وأفنهم فسلموا إليه الحصنَ وخليفة، فخرب الحصن ، وقُتِلَ خليفة ومَنْ معه ، ثم انتقل إلى غياث وكان موافقاً للمطري على الخلاف ، فحصرهم ، وضيق عليهم ، فطلبوا الأمان ، فأمنهم إلا نفراً كان يعرف كراهتهم لدولته ، فإنه قبض عليهم وعاد إلى قرطبة فلما عاد إليها، خرج عليه عبد الله بن خراشة الأسدي ، بكورة جيان ، فاجتمعت إليه جموع فأغار على قرطبة فسير اليه عبد الرحمن جيشاً فتفرقَ جمعُهُ ، فطلبَ الأمان فبذله له عبد الرحمن ووفى له .

ذكر عدة حوادث

وفيها عسكر صالح بن علي بدابق ولم يغز ، وحجَّ بالناس أبو جعفر المنصور ،
وكان ولاَّة الأمصار مَنْ تقدمَ ذكرُهم ، وفيها مات سليمان بن مهران الأعمش (ا) وكان مولده سنة ستين ، وفيها مات جعفر بن محمد الصادقَ وقبره بالمدينة يزار هو وأبوه ، وجده في قبر واحد مع الحسن بن علي بن أبي طالب ، وفيها مات زكريا بن أبي زائدة ، وأبو أمية عمرو بن الحرث بن يعقوب مولى قيس بن سعد بن عبادة ، وقيل : غير ذلك وكان مولده سنة تسعين ، وعبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان ويقال : مولى تميم وهو ثقة ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي ، ومحمد بن الوليد الزبيدي ، ومحمد بن عجلاَن المدني ، وعوَام بن حوشب بن يزيد بن رويم الشيباني الواسطي ، ويحيى بن أبي عمرو الشيباني من أهل الرملة ،و(سيبان) بالسين المهملة ثم بالياء المثناة من تحت ثم بالباء الموحدة بطن من حمير .
(1) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي المحدث المعروف بالأعمش من تابعي أهل الكوفة وكان خفيف الروح ذا دعابة .

وفيها غزا العباس بن محمد الصائفة أرض الروم ، ومعه الحسن بن قحطبة، ومحمد بن الأشعث فمات محمد في الطريق .
وفيها استتم المنصور بناء سور مدينة بغداد ، وخندقها، وفرَّغ جميعَ أمورها ، وسار إلى حديثة الموصل ثم عاد ، وحج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .
وفيها عُزِلَ عبدُ الصمد بن علي عن مكة في قول بعضهم ، واستعملَ محمد بن إبراهيم ؛ وكان عمال الأمصار مَنْ تقدم ذكرهم سوى مكة والطائف . وفيها أغزى عبد الرحمن صاحب الأندلس بدراً مولاًه إلى بلاد العدو ، فجاوز إليه وأخذ جزيتها .
وكان أبو الصباح حي بن يحيى على اشبيلية فعزله ، فدعا إلى الخلاف ، فأنفذ
إليه عبد الرحمن وخدعه حتى حضر عنده فقتله ؛ وفيها مات سلم بن قتيبة الباهلي بالري وكان مشهوراً عظيم القدر(ا) وكهمس بن الحسن ابو الحسن التميمي البصري . وفيها توفي عيسى بن عمر الثقفي النحوي المشهور ، وعنه أخذ الخليل النحو وله فيه تصنيف (2).
(ا) ولي سلم هذا امرة البصرة في يد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان الحمار ثم وليها في أيام أبي جعفر المنصور وكان أميراً عاقلاً عادلاً في الرعية .
(2) له الإكمال والجامع .

ثم دخلت سنة خمسين ومائة
ذكر خروج استاذسيس (1)
وفيها خرج أستاذ سيس في أهل هراة ، وباذغيس ، وسجستان ، وغيرها من خراسان . وكان فيما قيلَ في زهاء ثلاثمائة ألف مقاتل ، فغلبوا على عامة خراسان وسار حتى التقوا هم وأهلُ مرو والروذ ، فخرج إليهم الأجشم المرْوَرْوَذي في أهل مرو الروذ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، فقُتِلَ الأجشم (2) وكَثُرَ القتلُ في أصحابه وهُزِمَ عدةٌ من القواد، منهم معاذ بن مسلم ، وجبرائيل بن يحيى ، وحماد بن عمرو ، وأبو النجم السجستاني ، وداود بن كرار .
ووجه المنصور - وهو بالراذان -(3) خازم بن خزيمة إلى المهدي ، فولاه المهدي محاربة استاذسيس ، وضم إليه القواد، فسار خازم وأخذ معه مَنْ انهزم ، وجعلهم في أخريات الناس يكثر بهم من معه ، وكان معه من هذه الطبقة اثنان وعشرون ألفاً ، ثم انتخب منهم ستة آلاف رجل وضمهم إلى إثني عشر ألفاً كانوا معه من المنتخبين . وكان بكار بن سلم (4)فيمن انتخب وتعيى للقتال فجعل الهيثم بن شعبة بن ظهير على ميمنته ، ونهارَ بنَ حصين السعدي على ميسرته ، وبنهَار بن سلم العقيلي في مقدمته ، وكان لؤلؤه مع الزبرقان ، فمكَرَ بهم وراوغهم في أن ينقلَهُم مِنْ موضِعٍ إلى موضعٍ ، وخندقَ إلى خندقَ حتى قطعهم وكان أكثرهم رجالة ، ثم سار خازم إلى موضعٍ ،
(ا) كذا في الطبري أيضاً ، وفي النجوم الزاهرة " أسباديس " بباء موحدة ودال مهملة .
(2) الأحشم " بحيم وشين معجمة " ، وفي الطبري " الأجشم " بثاء مثلثة ، وفي النجوم الزاهرة " الاختم " بخاء معجمة وتاء مثناة من فرقَ.
(3) في الطبري " وهو بالبردان " .
(4) في الطبري " بكار بن مسلم " بميم في أوله .

فنزله وخندقَ عليه وعلى جميع أصحابه ، وجعل له أربعةَ أبوابٍ وجعلَ على كلِّ بابٍ الفاً من أصحابه الذين انتخبوا .
وأتى أصحاب أستاذسيس ومعهم الفؤوس ، والمرور ، والزبل ليطموا الخندقَ
فأتوا الخندقَ من الباب الذي عليه بكار بن سلم فحملوا على أصحاب بكار حملة هزموهم بها ، فرمى بكار بنفسه فترتجَلَ على بابِ الخندقِ وقال لأصحابه لا يؤتى المسلمون من ناحيتنا ، فترجلَ معه من أهله وعشيرته نحو من خمسين رجلاً وقاتلوهم حق ردوهم من بابهم ، ثم أقبل إلى الباب الذي عليه خازم رجل من أصحابِ أستاذسيس من أهل سجستان اسمه الحرُيش، وهو الذي كان يدبَر أمره .
فلما رآه خازم مقبلاً ، بعث إلى الهيثم بن شعبة ، وكان في الميمنة أن يخرج من
الباب الذي عليه بكار فإن مَنْ بإزائِهِ قد شُغِلُوا عنهم ، ويسير حتى يغيب عن أبصارهم ، ثم يرجع من خلف العدوّ .
وقد كانوا يتوقعون قدوم أبي عون ، وعمرو بن سلم بن قتيبة من طخارستان .
وبعث خازم إلى بكار إذا رأيت رايات الهيثم قد جاءت فكبروا وقولوا : قد جاءت فكبَروا وقولوا : قد جاء أهل طخارستان ، ففعل ذلك الهيثم ، وخرج خازم في القلب على الحريش وشغلهم بالقتالِ وصبر بعضهم لبعض فبينا هم على ذلك ،نظروا إلى اعلام الهيثم فتنادوا بينهم جاء أهل طخارستان فلما نظروا إليها حمل عليهم أصحاب خازم فكشفوهم ، ولقيهم أصحاب الهيثم ، فطعنوهم بالرماح ، ورموهم بالنشاب ، وخرج عليهم نهار بن حصين من ناحية الميسرة ، وبكـار بن سلم وأصحـابه من ناحيتهم ، فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف ، فقتلهم المسلمون ، فاكثروا وكان عدد من قتل سبعين ألفاً وأسروا أربعة عشر ألفاً،ونجـا استاذسيس إلى جبل في نفر يسير فحَصَرَهم خازم وقَتَلَ الأسرى، ووافاه أبو عون ، وعمرو بن سلم ، ومن معهما فنزل أستاذسيس على حكم أبي عون فحكم ان يوثق استاذسيس ، وبنوه ، وأهل بيته بالحديد وأن يعتق الباقون وهم ثلاثون ألفاً قاضى خازم حكمه وكسَا كل رجل ثوبين ، وكتب إلى المهدي بذلك ؛ فكتب المهدي إلى المنصور ، وقيل : إنَ خروج استاذسيس كان سنة خمسين وكانت هزيمته سنة إحدى وخمسين ومائة ، وقد قيل : إن استاذسيس ادَعى النبوة ، وأظهر أصحائهُ الفسقَ ، وقطع السبيل ، وقيل : إنه جد

المأمون أبو أمه

مراجل وابنه غالب خال المأمون وهو الذي قَتَلَ ذا الرياستين الفضل بن سهل لمواطأةٍ من المأمون وسَيَرِدُ ذِكرهُ إن شاء الله .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عَزَلَ المنصور جعفر بن سليمان عن المدينة وولّاها الحسن بن
زيد بن الحسن بن الحسن بن علي ، وفيها خرج بالأندلس غياث بن المسير الأسدي بنائحة ، فجمع العمال لعبد الرحمن جمعاً كثيرا وسار إلى غياث ، فواقعه ، فانهزم غياث ومن معه ، وقُتِلَ غياث وبُعِثَ برأسه إلى عبد الرحمن بقرطبة ، وفيها مات جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وصلّى عليه أبوه ودُفِنَ ليلاً في مقابر قريش ، ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة ، وحجَّ بالناس عبد الصمد بن علي وكان هو العامل على مكة في قول بعضهم ، وقال بعضهم : بل كان العامل محمد بن إبراهيم ، وكان على الكوفة محمد بن سليمان بن علي ، وعلى البصرة عُقبة بن سلم ، وعلى قضائها سوار ، وعلى مصر يزيد بن حاتم ، وفي هذه السنة مات الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ا) ، ومعمّر بن راشد ، وعمر بن ذر ، وقيل ؛ مات اعمر سنة خمس وخمسين ومائة وكان من الصالحين يقول بالإرجاء، وفي سنة خمسين مات عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج ، ومحمد بن إسحاقَ بن يسار صاحب المغازي ، وقيل مات سنة إحدى وخمسين ؛ وفيها مات مقاتل بن سليمان البلخي المفسر ، وكان ضعيفاً في الحديث . وأبو جناب الكلبي ، وعثمان بن الأسود ، وسعيد بن أبيِ عروبة ، واسم أبي عروبة مهران مولى بني يشكر كنيته أبو النضر. (يسار) بالياء تحتها نقطتان وبالسين المهملة.

(1) هو صاحب المذهب المولود سنة ثمانين من الهجرة ومناقبه كثيرة أفردت في مصنفات ويكفي في فضله ما قاله الشافعي رضي الله عنه : الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة ، وفي شهرته ما يغني عن الإطناب في ذكره .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة

فيها أغارت الكرك على جدة.

ذكر عزل عمر بن حفص عن السند وولاية هشام بن عمرو

وفيها عَزَلَ المنصور عمرَ بنَ حفص بنَ عثمان بنَ قُبيصة بن أبي صُفرة المعروف بهزارمرد - يعني ألف رجل - عن السند واستعمل عليها هشام بن عمرو التغلبي واستعمل عمر بن حفص على افريقية .

وكان سبب عزله عن السند انه كان عليها لما ظهر محمد ، وابراهيم ابنا

عبد الله بن الحسن ؛ فوجَّه محمد ابنه عبد الله المعروف بالأشتر إلى البصرة فاشترى منها خيلاً عتاقاً ليكون سبب وصولهم إلى عمر بن حفص ، لأنه كان فيمن بايعه من قواد المنصور وكان يتشيع .

وساروا في البحر إلى السند فأمرَهُم غمَرُ أن يحضروا فقال له بعضهم : إنَّا جئناك بما هو خيرٌ من الخيلِ ، وبما لَكَ فيه خير الدنيا والآخرةِ ، فاعطنا الأمان ، إما قبلت منا لاما سَتَرْتَ وأمسكت عن أذانا حتى نخرج عن بلادك راجعين ؛ فامنه فذكر له حالهم وحال عبدِ الله بن محمد بنِ عبد اللهِ ؛ أرسله أبوه اليه فرحَّب بهم وبايعهم وانزل الأشتر عنده مختفياً ، ودعا كبراء أهل البلد ، وقوَّاده وأهلَ بيته إلى البيعة فاجابوه فقطع ألويتهم البيض، وهيأ لبسه من البياض ليخطب فيه ، وتهيأ لذلك يوم الخميس ، فوصله مركبٌ لطيفٌ فيه رسولٌ من امرأة عمر بن حفص تخبره بقتل محمد بن عبد الله ، فدخل على الاشتر فأخبره ، وعزاه فقالي له الأشترُ : إن أمري قد ظَهر ردمي في عنقك فانظر

لنفسك أو دع قال عمر : قد رأيت رَأياً ههنا،ملك من ملوك السند عظيم الشأن كثيرُ المملكة وهو على شوكة أشد الناس تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وفيّ أرسلْ اليه فاعقدْ بينك وبينه عقداً فأوجِّهُكَ إليه تكون عنده فلست ترام معه ، ففعل ذلك وسار إليه الأشتر فاكرمه ،وأظهر بره ، وتسلَّلت اليه الزيدية حتى اجتمع مجه أربعمائة انسان من أهل البصائر ، فكان يركب فيهم ويتصيَّد في هيئة الملوك وآلاتهم .
فلما انتهى ذلك إلى المنصور ، بلغ منه ما بلغ ، وكتب إلى عمر بن حفص يخبره ما بلغه ، فقرأ الكتاب على أهله وقال لهم : إن أقررتُ بالقصة كل ت لني وإن سرْتُ إليه قتلني لان امتنعتُ حاربني فقال له رجل شهم : ألقِ الذنب عليَّ وخذني وقيِّدْني ، فانه سيكتب في حملي إليه فاحملني فإنه لا يقرأ عليَّ لمكانك في السند وحال أهل بيتك بالبصْرة، فقال عمر : أخاف عليك خـلاَف ما تظن قال : إن قُتلتُ فنفسي فداء لنفسك ، فقيده وحبسه وكتب إلى المنصور بأمره ؛ فكتب إليه المنصور يأمره بحمله فلما صار إليه ضرب عنقه .
ثم استعمل على السند هشام بن عمرو التغلبي ، وكـان سبب استعماله أن المنصور كأن تفكر فيمن يوليه السند ، فبينا هو راكب والمنصور ينظر إليه إذ غابَ يسيراً ، ثم عاد فاستأذن على المنصور فادخله فقال : إني لما انصرفْتُ من الموكب لقيتني أختي فلاَنة ، فرأيت من جمالها وعقلها ودينها ما رضيتها لأمير المؤمنين فاطرق ثم قـال : أخرجْ يأتِكَ أمري؛ فلما خرج قال المنصور لحاجبه الربيع : لولاَقول جرير :

لا تـطلبنَّ خؤولـة في تغلب فالـزنـج أكـرمُ منهم أخـوالا

لتزوجت اليه قلْ له : لو كان لنا حاجة في النكات لقبلت ، فجزاك الله خيراً، وقد
وليتك السند فتجهزْ إليها ، وأمره أن يكاتب الملك بتسليم عبد الله ، فإن سلَّمه وإلاّ حاربه ، وكتب إلى عمر بن حفص بولاَيته افريقية، فسارَ هشامُ إلى السِّند فملكها ،وسار عصرُ إلى افريقيةَ فوليَها ، فلما صار هشام بالسِّندِ ، كره أخذَ عبد الله الأشتر وأقبلَ يُري الناس أنه يكاتبُ ذلك الملكَ .
واتصلت الأخبار بالمنصور بذلك فجعل يكتب إليه يستحثُّه ، فبينا هو كذلك إذْ

خرجَتْ خارجة ببلاد السند، فوجَه هشامُ أخاه سفنجاً ،فخرج في جيشه وطريقه بجنبات ذلك الملك ، فبينا هو يسيرُ إذْ غَبْرةٌ قد ارتفعت فظَنَّ أنهم مقدمةُ العدوّ يقصده فوجه طلائعه فزحفت إليه فقالوا : هذا عبد الله بن محمد العلوي يتنزه على شاطىء مهران ؛ فمضى يريده فقال نصحاؤه : هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تركه أخوك معتمَداً مخافة أن يبؤ بدمه ، فلم يقصده فقال : ما كنت لأدع أَخْذَهُ ولا أدع أحداً يحظى بأخذِهِ وقَتْلِهِ عندَ المنصور ، وكان عبدُ الله في عشرةٍ فقصده ، فقاتله عبد الله وقاتل أصحابه ، حتى قُتِلَ ، وقُتلوا جميعاً فلم يفلت منهم مُخبِرٌ وسَقَطَ عبدُ الله بين القتلى فلم يشعر به ، وقيل : إن أصحابه قذفوه في مهران حتى لا يُحْمل رأسُه . فكتب هشام بذلك إلى المنصور فكتب إليه المنصور يشكره ويأمره بمحاربة ذلك الملك ، فحاربه حتى ظَفرَ به وقتله ، وغلب على مملكته .
وكان عبد الله قد اتخذ سراري فأولدَ واحدةً منهن ولداً وهو محمد بن عبد الله الذي يقال له ابن الأشتر فأخذ هشام السراري – والولد معهنَ – فسيرهُنَّ إلى المنصور ؛ فسير المنصور الولد إلى عامله بالمدينة وكتب سه بصحةِ نسَبِهِ وتَسْلِيمِهِ إلى أهْلِه .

ذكر ولاية أبي جعفر عمر بن حفص أفريقية

وفي هذه السنة استعمل المنصور على افريقية أبا جعفر عُمرَ بنَ حفص من وُلْدِ
قُبيصة بن أبي صفرة أخي المهلب ، وإنما نُسِبَ لبيت المهلب لشهرته .
وكان سبب مسيره إليها أن المنصور لما بلغه قتْلُ الأغلبِ بن سالم ، خاف على أفريقية فوجه إليها عمر والياً فقدم القيروان في صفر سنة إحدى وخمسين ومائة في خمسمائة فارس ، فاجتمع وجوه البلد فوصلهم وأحسن إليهم ، وأقام والأمور مستقيمة ثلاث سنين فسار إلى الزاب لبناء مدينة طبنة بأمر المنصور ؛ واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب المهلبي .
فخَلَتْ أفريقية من الجند فثار بها البربر فخرج إليهم حبيب فقُتِل، واجتمع البربر بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم الأباضي – واسمه يعقوب بن حبيب مولى كندة –وكان عامل عمر بن حفص على طرابلس الجنيد بن بشار الاسادي، وكتب إلى عمر يستمده فأمدَه بعسكر فالتقوا ، وقاتلوا أبا حاتم الأباضي ، فهزمهم ، فساروا إلى قابس ، وحصرهم أبو حاتم؛ - وعمر مقيم بالزاب على عمارة طبنة - وانتتضت أفريقية من كل ناحية .

ومضوا إلى طبنة فاحاطوا بها في اثني عشر عسكراً ، منهم أبو قرة الصفري في أربعين ألفاً ، وعبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفاً . وأبو حاتم في عسكر كثير ، وعاصم السدراتي الأباضي في ستة آلاف ، والمسعود الزناتي الأباضي في عشرة آلاف فارس وغير من ذكرنا.
فلما رأى عمر بن حفص إحاطتهم به ، عزم على الخروج إلى قتالهم فمنعه اصحابه وقالوا : إن اصبتَ تلف العرب ، فعدل إلى إعمال الحيلة فأرسل إلى أبي قرة مقدم الصفرية يبذل له ستين ألف درهم ليرجعَ عنه فقال : بعد أن سلم علي بالخلافة أربعين سنة أبيعُ حربكم بعرض قليلٍ من الدنيا ولم يُجبْهُم إلى ذلك ، فأرسله إلى أخي أبي قرة فدفع إليه أربعة آلاف درهم وثياباً، على أن يعمل في صرف أخيه الصفرية ، فأجابهم وارتحل من ليلته ، وتبعه العسكر منصرفين إلى بلادهم ، فاضطر أبو قرة إلى اتباعهم .
فلما سارت الصفرية ، سير عمر جيشاً إلى ابن رستم وهو في تهوذا - قبيلة من البربر- فقاتلوه فانهزم ابن رستم إلى تاهرت ، فضعف أمر الأباضية عن مقاومة عمر ، فساروا عن طبنة إلى القيروان ، فحصرها أبو حاتم وعمر بطبنة ليصلح أمورَها ويحفظها ممن يجاورُهُ من الخوراج ،فلما علم ضيقَ الحال بالقيروان ، سار إليها ، ولما سارَ عمرُ بنُ حفص إلى القيروان ، استخلف على طبنة عسكراً ،فلما سَمِعَ أبو قرة بمسير عمر بن حفص ، سار هو إلى طبنة فحصرها ، فخرج إليه مَنْ بها من العساكر وقاتلوه فانهزم منهم وقُتِلَ من عسكره خلق كثيرٌ .
وأما أبو حاتم فانه لما حصر القيروان ، كَثرَ جمعُهُ ولازم حصارها ، وليس في
بيت مالها دينار ولا في اهَرائها شيء من الطعام ، فدام الحصار ثمانية أشهر، وكان . الجند يخرجون فيقاتلون الخوارج طرفي النهار حتى جَهَدَهم الجوع وأكلوا دوابهم وكلابهم ولَحِقَ كثيرٌ من أهلها بالبربرِ ولم يبقَ غيرُ دخولِ الخوارجِ اليها ، فأتاهم الخبرُ بوصول عمرِ بن حفص من طبنة ، فنزَل الهريشَ وهو في سبعمائة فارس فزحف الخوارج إليه بأجمعهم وتركوا القيروان ، فلما فارقوها سار عمر إلى تونس فتبعه البربر فعاد إلى القيروان مجداً وأدخل اليها ما يحتاج من طعام ، ودواب ، وحطب وغير ذلك ، ووصل أبو حاتم والبربر إليه فحصروه فطال الحصار حتى أكلوا دوابهم وفي كل

يوم يكون بينهم قتال وحرب؛ فلما ضاقَ الأمر بعمر وبمن معه قال لهم : الرأي أن أخرج من الحصار وأغيرَ على بلاد البربر وأحملَ إليكم الميرةَ قالوا : إنَّا نخافُ بعدَك قال : فأرسل فلاناً وفلاناً يفعلان ذلك فاجابوه فلما قال للرجلين قالا لا نتركك في الحصار ونسير عنك ، فعزم على إلقاء نفسه إلى الموت .
فأتى الخبر أن المنصور قد سيَّر إليه يزيد بن حاتم بن قتيبة بن المهلب في ستين
ألف مقاتل ، وأشار عليه من عنده بالتوقفِ عن القتال إلى أن يصلَ العسكرُ فلم يفعل ، وخرج وقاتل فقتل منتصف ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائة ، وقام بأمر الناس حميد بن صخر-وهو أخو عمر لأمه - فوادعَ أبا حاتم وصالحَهُ على أنَّ حميداً ومن معه لا يخلعون المنصور ولاَ ينازعهم أبو حاتم في سوادهم ، وسلاَحهم ، وأجابهم إلى ذلك وفتحت له القيروان وخرج أكثر الجند إلى طبنة ، وأحرقَ أبو حاتم أبواب القيروان ، وثلم سورها ، وبلغه وصول يزيد بن حاتم فسار إلى طرابلس وأمر صاحبه بالقيروان بأَخْذِ سلاحِ الجند وأن يفرقَ بينهم ، فخالف بعض أصحابه وقالوا لا نغدر بهم ، وكان المُقدَّمُ على المخالفين عمرُ بنُ عثمان الفهري ، وقام في القيروان وقتَلَ أصحابَ أبي حاتم ، فعاد أبو حاتم فهرب عمر بن عثمان من بين يديه إلى تونس ، وعاد أبو حاتم إلى طرابلس لقتال يزيد بن حاتم فقيل : كان بين الخوارج والجنود من الذين فاتلوا عمرَ بنَ حفص إلى انقضاء أمرهم ثلاثمائة وخمس وسبعون وقعةً .

ذكر ولاية يزيد بن حاتم أفريقية وقتال الخوارج

لمّا بلغَ المنصور ما حل بعمرَ بنِ حفص من الخوارج ، جهَّز يزيد بن حاتم بن قبيصة بن أبي صفرة في ستين ألف فارس ، وسيَّره إلى أفريقيةَ، فوصلها سنة أربع وخمسين ومائة ، فلما قارَبها ،سار إليه بعض جندها ، واجتمعوا به ، وساروا معه إلى طرابلس؛ فسار أبو حاتم الخارجي إلى جبال نفوسة ، وسيَّر يزيد طائفةً من العسكر إلى قابس ، فلقيهم أبو حاتم ، فهزمهم ، فعادوا إلى يزيد ، ونزل أبو حاتم في مكان وعرٍ ، وخَنْدَقَ على عسكره ، وعبى يزيد أصحابه ، وسار إليه فالتقوا في ربيع الأول سنة خمس وخمسين ، فاقتتلوا أشد قتال ، فانهزمت البربرُ وقُتِلَ أبو حاتم وأهل نجدته ، وطلبهم يزيد في كل سهل وجبل ، فقتلهم قتلاً ذريعاً ، وكان عدّةُ مَنْ قُتِلَ في المعركة ثلاثين ألفاً ، وجعل آل المهلب يقتلون الخوارج ويقولون : يا لثارات عمر بن حفص؛ وأقام

شهراً يقتل الخوارج . ثم رحل إلى القيروان.
فكان عبد الرحمن بن حبيب بنِ عبد الرحمن الفهري مع أبي حاتم فهرب إلى
كتامة ، فسيَّر إليهم يزيدُ بن حاتم جيشاً ، فحصروا البربر ، وظفروا بهم ، وقتلوا منهم خَلقاً كثيراً ، وهرب عبد الرحمن ، وقُتِلَ جميعُ من كان معه .
وصَفَتْ أفريقية وأحسن يزيد السيرة وأمن الناس إلى أن انتقضتْ ورفجومة سنة
أربع وستين ومائة بأرض الزاب - وعليها أيوب الهواري - فسيّر إليهم عسكراً كثيراً واستعملَ عليهم يزيد بن مجزا المهلبي ، فالتقوا واقتتلوا فانهزمَ يزيدُ وقُتِلَ كثيرٌ من أصحابه ، وقتل المخارقَ بن عقار صاحب الزاب ، فوُلي مكـانه المهلب بن يزيد المهلبي ، وأمدَّهم يزيدُ بن حاتم بجمْعٍ كثيرٍ ، واستعملَ عليهم العلاء بن سعيد المهلبي ، وانضمَّ إليهم المنهزمون ولقوا ورفجومة ، واقتتلوا واشتدّ القتالُ ، فانهزمت البربر، وأيوب ،وقُتِلوا بكل مكان حتى أتى على آخرهم ، ولم يقتل من الجند بم حد . ثم مات يزيد في رمضان سنة سبعين ومائة وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر واستخلف ابنه داود على افريقية .

ذكر بناء الرصافة للمهدي

وفي هذه السنة قَدِمَ المهديُّ من خُراسان في شوال ، فقَدِمَ عليه أهل بيته من
الشام ، والكوفة ، والبصرة ، وغيرها فهنَّأوه بمقْدمِهِ ، فأجازهم وحملهم وكساهم ، وفعل بهم المنصور مثل ذلك ، وبنى له الرصافة ، وكان سبب بنائها ، أن بعض الجند شغبوا على المنصور، وحاربوه على باب الذهب ، فدخل عليه قثم بن العباس بن عبيد الله بن عباس وهو شيخهم ،وله الحرمة والتقدم عندهم فقال له المنصور : أما ترى ما نحن -فيه من التياث الجند علينا وقد خفتُ أن تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الأمر من أيدينا فما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين عندي رأيُ إنْ أظهرته لك فسدَ وإنْ تركته أمضيته وصلحت خلافتك وهابَكَ جندُكَ قال له : أفتمضي في خلافتي شيئاً لاَ أعلمه ؟ فقال له ؛ إن كنتُ عندك متهماً فلاَ تشاورني فإن كنت مأموناً عليها فدعني أفعل رأي ، قال له المنصور؛ فأمضِه .
فانصرف قثم إلى منزله فدعا غلاماً له فقال له : إذا كان الغد فتقدمني واجلس

في دار أمير المؤمنين فإذا رأيتني قد دخلت وتوسطت أصحابَ المراتب ، فخذ بعِنان بغلتي ، فاستحلفني بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبحق العباس ، وبحق أمير المؤمنين إلاَّ ما وقفت لك وسمعتُ مسألتك وأجَبْتك عنها فإني سأنتهرُك وأغلظُ لك القولَ . فلاَ تخف وعاود المسألة الا فإني سأضربك بسوطي فعاودْ وقلْ لي : أيّ الحيين أشرف اليمن أم مضر ؟ فإذا أجبتك فاترك البغلة وأنت حر .
ففعل الغلاَم ما أمره وفعل قثم به ما قاله ثم قال : مضر أشرف لأن منها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها كتابُ الله ، وفيها بيتُ الله ، ومنها خليفةُ الله ، فامتعضتْ لذلك اليمن ، إذ لم يَذْكُرْ لهم شيئاً من شرفها وقال بعضُ قوَادهم : ليس الأمر كذلك مطلقاً بغير فضيلة لليمن ثم قال لغلام له : قم إلى بغلة الشيخ فاكْبحْها ، ففعل حتى كاد يقعيها(ا)، فامتعضت مضر وقالوا : يفعل هذا بشيخنا ، فأمر بعضهم غلامه فضرب يد ذلك الغلاَم فقطعها فنفر الحيان ؛ ودخل قثم على المنصور فافترقَ الجند فصارت مضر فرقةً ، وربيعة فرقة ، والخراسانية فرقة ، فقال قثم للمنصور : قد فرَّقت بين جندك وجعلتهم أحزاباً ، كل حزب منهم يخاف أن يحدث عليك حدثاً فتضربه بالحزب الآخر، وقد بقي عليك في التدبير بقية وهي أن تعبُرَ بابنك فتُنزِلُه في ذلك الجانب وتحوِّل معه قطعة من جيشك ، فيصير ذلكَ بلداً وهذا بلداً، فإن فسدَ عليك أولئك ضربتهم بهؤلاء ، وإن فسد عليك هؤلاء ضربتهم بأولئك ، وإن فَسَدَ عليك بعضُ القبائلِ ضربتهم بالقبيلة الأخرى ؛ فقبل رأيه واستقام ملكُه وبنى الرصافة وتولّى صالح صاحبُ المصلى ذلك .

ذكر قتل سليمان بن حكيم العبدي

في هذه السنة سار عقبة بن سلم من البصرة ، واستخلفَ عليها نافعُ بن عقبةِ إلى البحرين فقتل لسليمان بن حكيم ، وسبى أهل البحرين وأنفذَ بعض السبي ، والأسارى إلى المنصور فقَتَلَ بعضهم ، ووهبَ الباقين للمهدي فأطلقهم وكساهم ؛ ثم عزل عقبة عن البصرة ، لأنه لم يستقصِ على أهل البحرين ، وزعم بعضهم أن المنصور استعمل معنَ بن زائدة الشيباني على سجستان هذه السنة ، وحَجَّ بالناس هذه السنة محمد بن

(ا) في بعض النسخ " حتى كاد يعقبها " .

إبراهيم الامام ، وكان هو العامل بمكة ، والطائف ،وعلى المدينة الحسن بن زيد ،وعلى البصرة جابر بن توبة الكلابي ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى بصر يزيد بن حاتم .

ذكر ابتداء أمر شقنا وخروجه بالاندلس

وفيها ثار في الشرقَ من الأندلس رجل من بربر مكناسة كان يعلم الصبيان ، وكان اسمه شقنا بن عبد الواحد وكانت أمه تسمى قاطمة، وادعى أنه من وُئد فاطمة عليقا السلام ، ثم من وُلد الحسين عليه السلام ، وتسمىَ بعبد الله بن محمدٍ ، وسكن شنت برية(أ) واجتمع عليه خلق كثير من البربر ، وعَظُمَ أمرُه ، وسار إليه عبد الرحمن الأموي ، فلم يقف له ، وراغ في الجبال فكان إذا أمن انبسط ، وإذا خـاف ، صعدَ الجبال بحيث يصعب طلبه .

فاستعمل عبد الرحمن على طليطلة حبيب بن عبد الملك ، فـاستعمل حبيب

على شنت برية سليمان بن عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان وأمره بطلب شقنا ، فنزل شقنا إلى شنت برية وأخذ سليمان فقتله ، واشتدَ أمرُهُ وطارَ وغَلب على ناحية قورية ،وأفسَد في الأرض ، فعاد عبدُ الرحمنِ الأموي فغزاه في سنة اثنتين وخمسين ومائة بنفسه ، فلم يثبتْ له فأعياهُ أمرُه فعاد عنْهُ ، وسيّر إليه سنة ثلاث وخمسين بدراً مولاًه ، فهرب شقنا وأخلى حصنه شيطران ، ثم غزاه عبد الرحمن الأموي بنفسه سنة أربع وخمسين ومائة فلم يثبت له شقنا؛ ثم سيَّر إليه سنة خمس وخمسين أبا عثمان عبيد الله بن عثمان فخدعه شقنا ، وأفسد عليه جنده فهرب عبيد الله وغَنِمَ شقنـا عسكره ، وقَتَلَ جماعة من بني أمية كانوا في العسكر ، وفي سنة خمس وخمسين أيضاً سار شقنا بعد أن غَنِمَ عَسْكرَ عبيد الله إلى حصن الهواريين المعروف بمدائن ، وبه عامِلٌ لعبد الرحمن فمكرَ بِهِ شقنا حتى خَرَج إليه فقتله شقنا وأخذ خَيْلَه وسلاَحَه وجميعَ ما كان معه .

(1) في المعجم " ثنت برية " بفتح أوله وسكون ثانيه وبرية بفتح الباء الموحدة وكسر الراء بعدها باء مثناة من تحت مشددة مدينة متصلة بحوز مدينة سالم بالأندلس .

ذكرُ قتل معن بن زائدة(1)

في هذه السنة قُتِلَ معن بن زائدة الشيباني بسجستان ،وكان المنصور قد استعمله عليها ، فلمَّا وصلها أرسل إلى رتبيل يأمرُه بحمل القرارِ الذي عليه كل سنة ، فبعث إليه عروضاً وزاد في ثمنها ، فغضب معن ، وسار إلى الرخج ، وعلى مقدمته ابن أخيه مزيد بن زائدة فوجَد رتبيلَ قد خرج عنها إلى زابلستان ، ليصيف بها، ففتحة وأصابَ سبياً كثيراً ، وكان في السبي فرج الرخجي ،وهو صبي - وأبوه زياد ، فرأى معن غباراً ساطعاً أثارته حمر الوحش فظن أنه جيش أقبل ليختَص السبي ، والأسرى؛ فأمر بوضْع السيفِ فيهم فقَتَلَ منهم عُدَّةً كثيرةً ثم ظَهرَ لهُ أمرُ الغبار فأمسَكَ .

فخاف معن الشتاء وهجومه ، فانصرف إلى بست . وأنكر قومٌ من الخوارج سيرته فاندسوا مع فعلةٍ كانوا يبنون في منزله ، فلما بلغوا التسقيف أخفوا سيوفهم في القصب ، ثم دخلوا عليه بيته وهو يحتجم ،ففتكوا به وشق بعضهم بطنه بخنجر كان معه ، وقال أحدهم لفَا ضربه : أنا الغلاَّم الطاقي والطاق رستاقَ بقرب زرنج ، فقتلهم يزيد بن مزيد فلم ينجُ منهم أحدٌ .

ثم إن يزيد قام بأمر سجستان واشتدت على العرب ، والعجم من أهلها وطأتهُ ، فاحتال بعض العرب فكتَبَ على لسانه إلى المنصور كتاباً يخبرُه فيه أن كُتُبَ المهدي إليه قد حيرته وأدهشته ، ويسأله أن يعفِيَهُ من معاملته ، فأغضب ذلك المنصور وشتَمَهُ وأقرَّ المهدي كتابه فعزله وأمرَ بحبْسهِ وبيع كل شيء له ، ثم انه كلم فيه ، فأشخص إلى مدينة السلاَّم فلم يزل بها مجفواً حتى لقيَهُ الخوارج على الجسر فقاتلهم فتحرك أمره قليلاً ؛ ثم وجه إلى يوسف البرم بخراسان فلم يزَل في ارتفاعٍ إلى أنْ مات .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنةِ غزا الصائفة عبدُ الوهابَ بنُ إبراهيم الامام ، وفيها استعملَ

المنصور على الموصل إسماعيل بن خالد بن عبد الله القسري ، وفيها مات عبدُ الله بنُ عون ؛ وكان مولده سنة ست وستين ، وفيها مات أسَيْدُ بن عبدِ الله في ذي الحجة –وهو أمير خراسان –بى حنظلة بن أبي سفيان الجمحي ، وعلي بن صالح بن حبي أخو الحسن بن صالح وكانا تقيين فيهما تشيعٌ .

(1) كان أحد الأجواد وكان شجاعاً مقداماً ، وحكاياته في الجود والكرم مشهورة .

فيها غزا حميد بن قُحْطبة كابل ، وكان قد استعمله المنصور على خراسان سنة احدى وخمسين ، وغزا الصائفة عبد الوهاب بن إبراهيم ، وقيل : أخوه محمد بن إبراهيم الامام ولم يدربْ ، وفيها عَزَلَ المنصور جابرَ بن توبةٍ عن البصرة ، واستعمل عليها يزيد بن منصور . وفيها قَتَلَ المنصور هاشم بن الأساجيج (ا) . كَان قد خالفَ وعَصَا بافريقية ، فحمل إليه فقتله .
وحج بالناس هذه السنة المنصور، وفيها عُزِلَ يزيدُ بن حاتم عن مصرَ، واستعمل عليها محمد بن سعيد، وكان عمال الأمصار سوى ما ذكرنا الذين تقدم ذكرهم ، وفيها فات محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبد الله بن شهاب - وهو أبن أخي محمد بن شهاب الزهري ، روى عنه عمُّه ، وفيها مات يونس بن يزيد الأيلي ، روى عن الزهري أيضاً ، وفيها مات طلحة بن عمرو الحضرمي ، وابراهيم بن أبي عبلة ، واسم أبي عبلة شمر بن يقظان بن عامر العقيلي . (الأيلي) بفتح الهمزة وبالياء تحتها نقطتان (والعقيلي) بضم العين وفتح القاف .
(1) في الطبري " بن الاشتاخج " .

فيها عادَ المنصور من مكة إلى البصرة؛ فجهَّز جيشاً في البحر إلى الكرك الذين
تَقَدَّم ذِكر إغارتهم على جدة . وفيها قَبَضَ المنصور على أبي أيوب المورياني ، وعلى أخيه ، وبني أخيه ، وكانت منازلهم المناذر ،وكان قد سعى به كاتبُهُ أبان بن صدقة ، وقيل : كان سبب قبضه أن المنصور في دولة بني أمية ورَدَ على الموصل وأقام بها مستتراً ، وتزوج امرأةً من الأزد ، فحملت منه ثم فارقَ الموصل ، وأعطاها تذكرة وقال لها : إذا سمعت بدولة لبني هاشم فأرسلي هذه التذكرة إلى صاحب الأمر ، فهو يعرفُها ؛ فوضعت المرأةُ ولداً سمته جعفراً فنشأ وتعلم الكتابة ، وما يحتاج إليه الكاتبُ وولي المنصور الخلافة فقدم جعفر إلى بغداد واتصل بأبي أيوب ، فجعله كاتباً بالديوان فطلب المنصور يوماً من أبي أيوب كاتباً يكتب له شيئاً ، فأرسل جعفراً إليه ، فلما رآه المنصور مال إليه ، وأحبَّه ، فلما أمره بالكتابة رآه حاذقاً ماهراً فسأله من أين هو ومَنْ أبوه ؟ فذَكَرَ له الحال ، وأراه التذكرة وكانت معه فعَرفه المنصور ، وصار يطلبه كل وقت بحجة الكتابة، فخافه أبو أيوب ، ثمَّ إن المنصور أحضَرَه يوماً وأعطاهُ مالاً وأمرَ أنْ يصعدَ إلى الموصل ويحضرَ والدته ، فسار من بغداد، وكان أبو أيوب قد وضع عليه العيون يأتونه بأخباره ، فلما علم مسيره سيَّر وراءه من اغتاله في الطريق ، فقتله فلما أبطأ على المنصور أرسلَ إلى أمه بالموصل من يسألها عنه ، فذكرت له أنها لا علم لها به ، إلا أنه ببغداد يكتب في ديوان الخليفة .
فلما علم المنصور ذلك أرسل من يقصُ أثرَهُ فانتهى إلى موضع ، وانقطع خبره ،فعُلم أنه قُتِلَ هناك ، وكُشفَ الخبرُ ؛ فرأى أن قتله من يد أبي أيوب فنكبه ، وفعل به ما فعل ، وقبض المنصور أيضاً على عباد مولاه ، وعلى هرثمة بن أعين بخراسان ،

وأحضِرا مقعَديْن لتعصبهما لعيسى بن موسى ، وفيها أخذ المنصور الناس بتلبيس القلانس الطوال المفرطة الطول فقال أبو دلامة :

وكـنـا نـرجى من إمـام زيـادة فزاد الإمام المصطفى في القلانس (ا)

وفيها توفي عبيد ابن بنت أبي ليلى قاضي الكوفة ، فاستقضى مكانه شريك بن لا عبد الله النخعي ، وفيها غزا الصائفة معيوف بنُ يحيى الحجوري ،فوصل إلى حصنٍ من حصون الروم ليلاً وأهله نيام ، فسَبَى وأسَرَ مَنْ كان فيه ثم قَصَدَ اللاذقية الخراب فسبى منها ستة آلاف رأس سوى الرجال البالغين .

وحج بالناس هذه السنة المهدي ، وكان أميرَ مكة محمد بن إبراهيم ، وأميرَ المدينة الحسنُ بنُ زيد ، وأميرَ مصرَ محمدٌ بنُ سعيد، وكان يزيدُ بن منصور على اليمن في قولِ بعضهم ، وعلى الموصل إسماعيلُ بنُ خالدٍ بنُ عبد الله بنُ خالد ، وفيها مات هشامُ بن الغاز بن ربيعة الجرشي ،وقيل : سنة ست وخمسين ، وقيل : تسع وخمسين ، والحسنُ بن عمارة ، وعبدُ الرحمن بن يزيد بن جابر ، وثورُ بن يزيد ،وعبدُ الحميد بنُ جعفر بن عبد الله الأنصاري ، والضحاكُ بنُ عثمان بنُ عبد الله بنُ خالدِ بنُ حزام من وُلْد أخي حُكيم بن حزام ، وفطر بنُ خليفة الكوفي ، (فطر) بالفاء والراء المهملة ، و(الجُرشي) بضم الجيم وبالشين المعجمة .

(1) ذكر ابن جرير الطبري بعد هذا البيت بيتا وهو :

تراهـا على هام الـرجـال كـأنهـا دنان يـهود حـللت بـالـبـرانس

في هذه السنة سارَ المنصورُ إلى الشام ، وبيتِ المقدسِ وسير يزيدَ بنَ قُبَيْصة بن المهلب بنَ أبي صفرة إلى افريقَية في خمسين ألفاً لحربِ الخوارج الذين قتلوا عمرَ بن حفص .
وأراد المنصور بناءَ الرافقة فمنعه أهلُ الرَّقة، فهم بمحاربتهم ، وسقطت في هذه
السنة الصاعقة فقتلت بالمسجد خمسة نفر ، وفيها هلكَ أبو أيوب المُوريانى ، وأخوه خالد، وأمر المنصور بقطع أيديَ بني أخيه وأرجلهم وضرب أعناقهم . وفيها استعمل على البصرة عبد الملك بن ظبيان النميري ، وغزا الصائفة زُفر بن عاصم الهلاَلي فبلغ الفرات .
وحج بالناس محمد بن إبراهيم وهو على مكـة ، وكان على افريقية يزيد بن
حاتم ، وكان العمال مَنْ تقدمَ ذكرهم ، وفيها ماتَ أبو عمروٍ بن العلاَء ، وقيل : مات سنة سبع وخمسين وكان عمره ستاً وثمانين سنةً(أ)،ومحمد بن عبد الله الشُعَيْثي النصري – بالنون – وفيها مات عثمان بن عطاء ، وجعفر بن برقان الجزري ، وأشعب الطامع ، وعلي بن صالح بن حبي ، وعمر بن إسحاقَ بن يسار أخو محمد بن إسحاقَ، ووهيب بن الورد المكي الزاهد ، وقرة بن خالد أبو خالد السدوسي البصري ، وهشام الدستوائي ، وهو هشام بن أبي عبد الله البصري ، (الشعيثي) بضم الشين المعجمة وفي آخره ثاء مثلثة ،
(1) كان علاَّمة زمانه في الفقه والنحو وعلم القراءات وكان من كبار العلماء العاملين . يقال : انه كتب ملء بيت من كلاَم العرب ثم تزهد فأحرق ذلك كله ثم راجع الأمر الأول فلم يكن عنده إلاَّ ما كان يحفظه من كلام العرب .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

فيها دَخَلَ يزيدُ بنُ حاتم افريقية، وقَتَل أبا حاتمٍ وملكَ القيروان وسائرَ الغرب ،

وفد تقدم ذكرُ مسيرهِ وحروبه مستقصى . وفيها سيَّر المنصور المهدي لبناء مدينة الرافقة ، فسار إليها فبناها على بناء مدينة بغدادَ ، وعمل للكوفة، والبصرة سوراً وخندقاً، وجعل ما أنفق فيه من الأموال على أهلهما ، ولما أراد المنصور معرفةَ عددِهم ، أمرَ أن يقسمَ فيهم خمسة دراهم فلما علم عَددَهم أمرَ بجبايتهم أربعين درهماً لكل واحدٍ فقال الشاعر :

يـا لـقَـوم مـا لقـينـا من أميـرِ المؤمنيـنـا
قَسمَ الخـمسـةَ فيـنـا وجـبـانَـا الأربـعـيـنـا

وفيها طَلَبَ ملكُ الروم الصُلْحَ إلى المنصور على أن يؤدي له الجزية، وفيها غزا الصائفةَ يزيدُ بن أسَيْد السلمي ، وعُزِلَ عبدُ الملك بنُ أيوبَ بنُ ظبيان عن البصرةِ، واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكي .

ذكر عزل العباس بن محمد عن الجزيرة واستعمال موسى بن كعب

وفيها عَزَلَ المنصور أخاه العباسَ بنَ محمدٍ عن الجزيرة وغضب عليه ، وغرَّمَهُ مالاً ، فلم يزل ساخطاً عليه حتى غضب على عمه إسماعيل بن علي فشفعَ فيه عمومة المنـصور وضيقوا عليه حتى رَضِيَ عنه ، فقال عيسى بن موسى للمنصور : يا أميرَ المؤمنين أرى آل علي بن عبد الله وإن كانت نعَمكَ عليهم سابغةً، أنهم يرجعون إلى الحسد لنا فمن ذلك أنـا غضبت على إسماعيل بن علي منذ أيام فضيّقوا عليك حتى

رَضِيْتَ عنه وأنتَ غضبانُ على أخيك العباسِ منذ كذا وكذا ، فما كلّمك فيه أحدٌ منهم فرضِيَ عنه .
وكان المنصور قد استعمل العباسَ على الجزيرة بعد يزيد بن أسَيْد فشكا يزيدُ
منه وقال : إنه أساء عزلي ،أشتم عِرْضي ، فقال له المنصور : إجمع بين إحساني وإساءته يعتدلا ، فقال له يزيدُ بن أسَيْد : إذا كان إحسانكم جزاءً لإساءتكم ،كانت طاعتنا تفضلاً مت ا محليكم ، ولما عَزَلَ المنصورُ أخاه عن الجزيرة إستعمل عليها موسى بنَ كعب .

ذِكْرُ عزلِ محمدٍ بنِ سليمان عن الكوفة واستعمالُ عمرو بن زهير

وفيها عُزِلَ محمدٌ بنُ لسليمان بكن علي بنُ عبد الله بنُ عبَّاس عن الكوفة ، واستعملَ عليها عمرو بنُ زهير الضبِّ أخا المسيب بن زهير ، وقيل : إنما عُزل سنة ثلاث وخمسين ، وكان عَزْلهُ لأسباب بلغتهُ عنه ، منها أنه قتَلَ عبدَ الكريم بنَ أبي العوجاء وكان قد حَبَسَهُ على الزندقة، وهو خال معن بن زائدة الشيباني فكَثُرَ شُفَعاؤُهُ عند المنصورِ ولم يتكلمْ فيه إلا ظنين منهم فكتبَ إلى محمدٍ بنِ سليمان بالكفَ عنْهُ إلى أنْ يأتيَهُ رأيَهُ .
وكان ابن أبي العوجاء قد أرسل إلى محمدٍ بن سليمان يسألهُ أن يُؤخَرَهُ ثلاثة أيام ويُعْطِيَهُ مائة ألف ، فلما ذكر لمحمد أمرَ بقتلِهِ ، فلما أيقن أنه مقتول قال : والله لقد وَضعتُ أربعة آلاَف حديث حلّلْتُ فيها الحرام وحرَّمْتَ فيها الحلاَل ، والله اتحد فطرتكم يومَ صومِكم وصوَمتكم يومَ فَطرِكم فقتل .
ووَرَدَ كتابُ المنصور إلى محمد يأمرُهُ بالكفَ عنه فوصل وقد قَتَلَهُ ، فلقَا بلَغ قَتْله المنصور غَضِبَ وقال : والله لقد هَمَمْتُ أنْ أقيِّده به ، ثم أحضرَ عمّه عيسى بن علي وقال له : هذا عملُك أنت ، أشرت بتوليـة هذا الغلاَم الغرّ قتلَ فلاَناً بغيم زٍ أمري وقد كتبتُ بعزلِهِ وتهديده ، ش عتال له عيسى : إن محمداً إنما قَتَلَه على الزندقة فإن كاِن أصاب فهو لك وإنْ أخطأ فعليه ولَئِنْ زلته على أثرِ ذلك ليذهبن بالثناء والذكر ولترجعنَ بالمقالةِ من العامة عليك فمزق الكتاب .

في هذه السنة أنكَرتِ الخوارجُ الصفرية المجتمعة بمدينة سجلماسة على أميرهم عيسى بن جرير أشياء فشدُّوه وثاقاً ، وجعلوه على رأسِ الجبل ، فلم يزلْ كذلك حتى مات ؛ وقدموا على أنفسهم أبا القاسم سمكو بن واسول المكناسي جدَّ مدرار ، وفيها وُيدَ أبو سنان الفقيه المالكي بمدينة القيروان من أفريقية ، وفيها عُزِلَ الحسنُ بنُ زيد بنُ الحسن بنُ علي عن المدينة ، واستعمل عليها عمُه عبدُ الصمد بنُ علي ، وكان على مكة والطائف محمد بن إبراهيم ، وعلى الكوفة عمرو بن زهير ، وعلى البصرة الهيثم بن معاوية ، وعلى مصر محمد بن سعيد ، وعلى أفريقية يزيد بن حاتم ، وعلى الموصل خالد بن برمك ، وقيل : موسى بن كعب بن سفيان الخثعمي ؛ وفي هذه السنة مات مسعرُ بنُ كدام الكوفي الهلالي .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة
ذكر عصيان أهل إشبيلية على عبد الرحمن الأموي
في هذه السنة سارَ عبدُ الرحمن الأموي صاحبُ الأندلس إلى حربِ شقنا ،
وقصدَ حصنَ شيطران ، فحصَرَهُ وضيق عليه فهربَ إلى المفازةِ كعادته ، وكان قد استخلفَ على قرطبةَ ا ابنه سليمان فأتاه كتابةُ يخبرُهُ بخروج أهل أشبيليةِ مع عبدِ الغفار ، وحيوة بن ملابس عن طاعته ، وعصيانهم عليه ، واتّفَقَ مَنْ بها مِنَ اليمانية مَعَهُما ، فرجِعَ عبدُ الرحمن ولم يدخلْ قُرْطبة، وهالَهُ ما سَمِعَ من اجتماعهم ، وكثرتهم ، فقدَّم ابنَ عمّهِ عبدَ الملك بنَ عمر. وكان شهاب آل مروان - وبقِيَ عبدُ الرحمن خلفَهُ كالمدَدِ له ، فلما قاربَ عبدُ الملكِ أهلَ إشبيلية ، قدَّم ابنه أمية ليعرفَ حالهم ، فرآهم مستيقظين ، فرجع إلى أبيه ، فلاَمَهُ أبوه على إظهار الوهْن وضَرَبَ عُنُقَهُ ، وجمع أهلَ بيتِهِ ، وخاصَتهِ . وقال لهم ظُرِدْنا من المشرقِ إلى أقص هذا الصَقْع ونُحسَد على لقمة تبقي الرمقَ ؛ اكسروا جفون السيوف فالموت أولى أو الظفر ، ففعلوا وحمل بين أيديهم فهزم اليمانية وأهلَ أشبيلية فلم تقم بعدهَا لليمانية قائمة وجُرِحَ عبدُ الملك ، وبَلَغَ الخبرُ إلى عبد الرحمن ، فأتاه ، وجرحُه يجري دماً وسيفُهُ يَقْطُرُ دماً ، وقد لُصِقتْ يده بقائم سيفِهِ ، فقبلَه بين عينيهِ وجزَاهُ خيراً وقال ؛ يا بن عم قَدْ أنكحْتُ ابني وولي عهدي هشاما ابنتكَ فلاَنة وأعطيتها كذا وكذا ، وأعطيتُكَ كذا وأولاَدَك كذا ، وأقطعتُكَ وإياهم ،ووليتكم الوزارة .
وعبد الملك هذا هو الذي ألزمَ عبدَ الرحمن بقطعِ خطبةِ المنصور وقال له : اقطعْها وإلاَّ قتلتُ نفسي ؛ وكان قد خطب له عشرة أشهرٍ فقَطعَها .

وكان عبد الغفار ، وحيوة بن ملابس ، قد سلِما من القتل ،فلما كانت سنة سبع وخمسين ومائة سار عبد الرحمن إلى إشبيلية فَقَتَلَ خَلْقاً كثيراً ممن كان مع عبد الغفار ، وحيوة ورجع ؛ وبسبب هذه الوقعة وغش العرب ، مالَ عبد الرحمن إلى إقتناء العبيد.

ذكر الفتنة بافريقية مع الخوارج

قد ذَكَرْنا هرَبَ عبد الرحمن بن حبيب الذي كان أبوه أمير إفريقية مع الخوارج ، واتصاله بكَتامة وتسيير يزيدَ بنِ حاتم أمير أفريقية العسكرَ في أثرِهِ وأنهم فاتلوا كتامة .

فلما كانت هذه السنة سير يزيدُ عسكراً آخر مدداً للذين يقاتلون عبد الرحمن ؛

فاشتد الحصارُ على عبد الرحمن فمضى هارباً، وفارقَ مكانه ، فعادت العساكرُ عنه .

ثم ثار في هذه السنة على يزيد بن حاتم أبو يحيى بن فانوس الهواري بناحية طرابلس ، فاجتمع عليه كثيرٌ من البربر ، وكان بها عسكر ليزيد بن حاتم مع عامل البلد ، فخرت العاملُ والجيش معه ، فالتقوا على شاطىء البحر من أرض هوارة فاقتتلوا قتالاً فمديداً ، فانهزم أبو يحيى بن فانوس ، وقُتِل عامة أصحابه ، وسكن الناس بافريقية وصَفَتْ ليزيدَ بنِ حاتم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنةِ ظَفرَ الهيثمُ بنُ معاويةَ عاملُ البصرةِ بعمرو بن شداد الذي كان عاملَ إبراهيم بن عبدِ الله على فارس ، وسبب ظَفره به ، أنه ضَرَبَ غلاماً له فأتى الهيثم فدك عليه ، فأخذه فقتله ،وصلبه بالمربد ، وفيها عُزِلَ الهيثم عن البصرة ، واستعمل سوار القاضي عنى الصلاةِ مع القضاء، واستعمل سعيد بنُ دعلج على شرْطِ البصرةَ وأحداثها ؛ ولما وصل الهيثم إلى بغداد مات بها(ا) وصلى عليه المنصور ، وفيها غزا الصائفة زُفَرُ بنُ عاصم الهلالي .

وحج بالناسِ العباسُ بنُ محمد بن علي ؛ وكان على مكة محمدُ بنُ إبراهيم

(1) في الطبري " وهو على بطن جارية له " .

الأمامُ ،وعلى الكوفةِ عمرو بن زهير ، وعلى الأحداث ، والجوالي ، والشرط بالبصرة سعيد بن دعلج ،وعلى الصلاة، والقضاء سوارُ بن عبد الله ، وعلى كور دجلة ، والأهواز ، وفارس عمارة بن حمزة ، وعلى كرمان ، والسند هشام بن عمرو ، وعلى افريقية يزيدُ بن حاتم ، وعلى مصرَ محمدُ بنُ سعيد ، وفيها سخط عبد الرحمن الأموي على مولاه بدر لفرط إدلاله عليه ، واحم يرع حقَّ خدمتَهِ وطولَ صحبتهِ وصدقَ مناصحتِهِ ،فأخذَ مالَهُ وسلبَهُ نعمتَهُ ونفاه إلى الثغر فبقي به إلى أن هلكَ ؛ وفيها مالت عبد الرحمن بن زياد بن أنعم فاضي أفريقية وقد تكلم الناس في حديثه ؛ وفيها توفي حمزة بن حبيب الزيات المقرىء أحد القراء السبعة .

في هذه السنة بنى المنصور قصرَه الذي يُدْعى الخلدُ ؛ وفيها حوَّلَ المنصور الأسواقَ إلى الكرخِ ،وغيرهُ .
وقد تقدم سبب ذلك ، واستعملَ سعيدَ بن دعلج على البحرين فأنفذَ إليها ابنَه تميماً ، وعرضَ المنصور جندَهُ في السلاح والخيل وجَلَسَ لذلك ، وخَرَجَ هو لابساً درعاً وبيضةً(1)؛ وفيها مات عامر بن إسماعيل المسلي بمدينة السلام وصلّى عليه المنصور ؛ وتوفي سوار بن عبد الله قاضي البصرة(2) واستعمل مكانه عبد الله بن الحسن بن الحُصيْن العنبري ، وعُزِلَ محمدُ بنُ سليمان (3) الكاتبُ عنْ مصرَ واستعملَ مولاَه مطراً، واستعمل معبد بن الخليل علىِ السند، وعُزِلَ هشامُ بن عمرُو، وغزا الصائفة يزيدُ بنُ أسيد السلمي ، فوجَهَ سناناً مولى البطال إلى حصن فسبى وغنم ، وقيل : إنما غزا الصائفة زُفرُ بنُ عاصم .
وحجَّ بالناس إبراهيم بنُ يحيى بنُ محمد بنُ علي بن عبد الله بن عباس وكان على مكة ، وقيل : كان عليها عبد الصمد بن علي ، وعلى الأمصار من ذكرنا؛ وفيها قتل المِنصور يحيى بن زكريا المحتسب ، وكان يطعِنُ على المنصور، ويجمع
(1) عبارة الطبري " وقلنسوة تحت البيضة سوداء لاطئة مضربة " .
(2) وكان عادلاً في حكمه شكاه أهل البصرة إلى المنصور فاستقدمه المنصور فلما قدم عليه جلس فعطس المنصور فلم يشمته سوار فقال له المنصور : مالك لم تشمتي ؟ فقال : لانك لم تحمد الله فقال المنصور : انت ما حابيتني في عطسة تحابي غيري ارجع إلى عملك .
(3) في الطبري " محمد بن سعيد " .

الجماعات فيما قيل ، وفيها مات عبد الوهاب بن إبراهيم الامام (1) ، وقيل سنة ثمان وخمسين لا وفي سنة سبع وخمسين مات الاوزاعي الفقيه واسمه عبد الرحمن بن عمرو وله سبعون سنة(2)ومصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوَّام جدُّ الزبير بن بكار ، وفيها أَخْرَجَ سليمانُ بنُ يقظانِ الكلبي قارِلَهْ ملك الافرنج إلى بلادِ المسلمين من الأندلس ولَقِيَهُ بالطريق ، وسار معه إلى سَرْقُسْطَة، فسبقه اليها الحسين بن يحيى الأنصاري من وُلْدِ سعد بن عبادة، وامتنع بها فاتهمَ قارله ملك الإفرنج سليمان فقبض عليه وأخذه معه إلى بلاده ، فلما أبعِدَ من بلاد المسلمين واطمأنَّ ، هجم عليه مطروح ، وعيشون ابنا سليمان في أصحابهما فاستنقذا أباهما ورجعا به إلى سَرْقُسْطة ودخلوا مع الِحسين ووافقوا على خلاف عبد الرحمن (3) .

(1) ولاه عمه المنصور دمشق وفلسطين والصائفة ولم تحمد ولاَيته وولي عدة اعمال غير ذلك .

(2) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي الفقيه المجتهد فقيه الشام وصاحب المذهب المشهور الذي ينسب اليه الأوزاعية قديماً وقد بقي أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحواً من مائتين وعشرين سنة ، والأوزاع بطن من همدان ، وقيل : من حمير الشام ومولده بعلبك ونشأ بالبقاع ونقلته امه إلى بيروت فرابط بها إلى ان مات بها فجأة .

(3) وممن مات في هذه السنة أيضاً محمد بن طارقَ المكي من أهل الكوفة كان من الزهاد العباداروؤي في الطواف وقد انفرج له اهل الطواف فحزر طوافه في اليوم والليلة فكان عشرة فراسخ وبه ضرب ابن شبرمة المثل حيث قال :

- لـو شئت كنت ككـرز في تعبـده او كابن طارقَ حول البيت في الحرم
- قـد حال دون لـذيذ العيش خـوفهما وسـارعا في طـلاب الفـوز فـالكـرم

وتوفي ايضاً الحسين بن واقد المروزي ابو عبد الله القاضي .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة
ذكر عزل موسى عن الموصل وولاية خالد بن برمك
في هذه السنة عزل المنصورُ موسى بن كعب عن الموصل ، وكان قد بلغه عنه ما أسْخطه عليه فأمر ابنه المهدي أنْ يسير إلى الرقَة ، وأظهر أنّه يُريد بيْتَ المقدِس ، وأمرَهُ أنْ يجعلَ طريتَهُ على الموصل ، فإذا صار بالبلد أخذ موبس وقيده واستعمل خالدَ بنَ برمك .
وكان المنصور قد ألزَمَ خالدَ بن برمك ثلاَثة آلاف ألف درهم ، وأجلهُ ثلاثة أيام
فإن أحضرَ المالَ وإلا قَتَلهُ ، فقال لاًبنه يحيى : يا بني الق اخواننا،عمارة بن حمزة ، ومباركاً التركي ، وصالحاً صاحب المصلى، وغيرهم وأعْلِمْهم حالنا ، قال يحيى : فأتيتهم ، فمنهمِ مَنْ مَنَعني من الدخول عليه ، ووجَه المال وكمنهم من تجهَّمني بالردّ ووجه المال سراً إلي ، قال : فأتيت عمارة بن حمزة ووجهتُ إلى الحائط ،فما أقبلَ به عليَّ ، فسَلَّمْتُ فردَّ رداً ضعيفاً وقال : كيف أبوك ؟ فعرَّفته الحان ، وطلبت قرضَ مائة ألف فقال : إنْ أمكنني شيءٌ فسيأتيك ، فانصرفت وأنا ألعنه من تيهِهِ ، وحدثْتُ أبي بحديثه وإذ قد أنفذَ المال قال : فجمعنا في يومين ألفي ألف وسبعمائة ألف وبقي ثلاًثمائة ألف تبطل الجميع يتعذرها قال :فَعَبرتُ على الجسر وأنا مهمومٌ فَوَثَب إلي زاجر فقال : فرخُ (1) الطائر أخبَرِك ،فطويته فلحقني ، وأخذ بلجامِ دابتي وقال لرب أنتَ مهمومٌ ووالله لتفرحنَّ ولتمرَن غداً في هذا الموضع واللواءُ بين يديك فعجبتُ من قوله فقال : إن كان ذلك فلي عليك خمسةُ آلافِ درهمٍ فقلت : نعم وأنا أستَبعدُ ذلك . وورد على المنصور انتقاضُ الموصل، والجزيرة وانتشار الأكراد بها ، فقال مَنْ
(1)في الطبري " فرخ " بالخاء المعجمة .

لها؟ فقال المسيب بن زهير : عندي يا أمير المؤمنين رَأي أعلمُ أنك لاَ تقبله مني ، وأعلمُ أنك ترده علي ولكني لاَ أدعُ نصحَك قال : قلْ : قلت : ما لها مثلُ خالدِ بن برمك قال : فكيف يصلح لنا بعد ما فعلنا ؟ قال : إنَّما قوَمته بذلك وأنا الضامن له قال : فليحضرني غداً ، فأحضره فصفح له عن الثلاثمائة ألف الباقية وعقَد له ، وعقد لابنه يحيى على أذربيجان ، فاجتاز يحيى بالزاجر فأخذه معه ، وأعطاه خمسين ألف درهم ، وأنفذ خالد إلى عمارة بالمائة ألف التي أخذها منه مع ابنه يحيى فقال له : صيرفياً كنت لأبيك قم عني لا قمت ، فعاد بالمال وسار مع المهدي ، فعزَلَ موسى بن ى حب وولاَّهما ، فلم يزل خالد على الموصل وابنه يحيى على اذربيجان إلى أن توفي المنصور فذَكَرَ أحمد بن محمد بن سوار الموصلي قال : ما هِبْنا أميراً قط هيبتنا خالداً من غير أن يشتدَّ علينا ولكن هيبة كانت له في صدورنا .

ذكر موت المنصور ووصيته

وفي هذه السنة توفي المنصور لِسِتّ خلونَ من ذي الحجة ببئر ميمون ، وكان
على ما قيل قد هتَفَ به هاتفٌ من قصره بالمدينة فسمعه يقول :

أمـا وربِّ السكـون والحَـرَكِ إنَ المنـايـا كثمِـرةُ الشَـرَكِ
عليكِ يـا نفسُ إن أسـأتِ وإن أحسنتِ بالقصد كـل ذاك لكِ
مـا اختلفَ الليـلُ والنهـارُ ولا دارَتْ نجـومُ السمـاء في الفلكِ
إلا بنقـل السلطانِ عن ملْكِ إذا انتهى(1 هُلْكُـهُ إلى مَلِكِ
حتى يُـصيِّـرانـه إلى مَلك مـاعـزَّ سُلطانـه بمُـشتَـرَكِ
ذاك بديعُ السمـاءِ والأرضِ والمُرسِي الجبالِ المُسخر الفلك

فقال المنصور : هذا أوان أجلي ، قال الطبري : وقد حكى عبد العزيز بن مسلم
أنه قال : دخلت على المنصور يوماً أسلم عليه ، فاذا هو باهت لا يحيرُ جواباً فوثبتُ لما أرى منه لأنصرف فقال لي بعد ساعة : إنِّي رأيتُ في المنام كأن رجلاً ينشدني هذه الأبيات :

(1) في الطبري "إذَا انقضى" .

أأخَي خفض (أ)مِن منـاكـا فكـانَّ يـومَـكَ قـد أتـاكـا
ولـقـد أرَاك الـدهـرُ مـن تَـصـريفِـهِ مـا قـد أراكـا
فـإذا أرَدْتَ الـنـاقصَ العبـدَ الذليـلَ فـأنت ذاكـا
مـلكْـت مـا مـلكْـتَـهُ والأمْـرُ فـيـه إلى سـواكـا

هذا الذي ترى من قلقي وغمِّي لما سمعت ورأيت ، فقلت : خيراً رأيت يا أمير المؤمنين فلم يلبث أنْ خرجَ إلى مكة ، فلما سار من بغداد ليحجَّ نزل قصرَ عبدويه فانقض في مقامه هنالك كوكب لثلاثٍ بقيْنَ من شوَّال بعد إضاءة الفجر ، فبقي أثَرُهُ بينا إلى طلوع الشمس ، فأحضر المهدي - وكان قد صحبه ليودّعه - فوصَّاه بالمال والسلطان يفعل ذلك كلَّ يوم من أيام مقامه بكْرةً وعشيَّةً ، فلما كان اليوم الذي ارتحل فيه قال له : إني لم أدعْ شيئاً إلّا وقد تقدمْتُ إليك فيه، وسأوصيك بخصَالٍ والله ما أظنُك تفعلُ واحدةً منها ، وكان له سفط فيه دفاتر علمِهِ وعليه قفل لاَ يفتحه غيره فقال للمهدي : أنظرْ إلى هذا السفطِ ، فاحتفظْ به ، فإنَ فيه علمُ آبائك ما كان وما هو كائنٌ ، إلى يوم القيامة ، قان أحزَنَك فانظرْ في الدفترِ الكبيرِ ، فإن أصبت فيه ما تريدُ وإلا ففي الثاني والثالث حتى بلَغ سبعة ، فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة ،- فانك واجد فيها ما تريد، وما أظنّك تفعلُ ، وانظر هذه المدينة ، وإياك أنْ تستبدلَ بها غيرها وقد جمعْتُ لك فيها من الأموال ما إن كُسِرَ عليك الخراجُ عشر سنين كفاك لأرزاق الجند والنفقات والذرية ومصلحة البعوث ، فاحتفظْ بها فإنك لاَ تزال عزيزاً ما دام بيتُ مالِكَ عامراً وما أظنك تفعل ، وأوصيك بأهل بيتك أن تظهرَ كرامتهم وتحسنَ إليهم ، وتقدمَهم وتوطىء الناسَ أعقابهم ، وتوليهم المنابرَ، فإنَ عِزَّكَ عِزُهُم وذكرُهم لك ، وما أظنك تفعل ، وانظر مواليك فأحسن إليهم وقربهم ، واستكثرْ منهم فإنهم مادتك لشدتِكَ إنْ نزلَتْ بهم وما أظنك تفعل ، وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فانهم أنصارُك وشيعتُك الذين بذلُوا أموالهم ودماءَهم في دولتك ومَن لا تخرجُ محبتُك من قلوبهم أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافِئُهُم عفَا كان منهم ، وتخلفُ من مات منهم في أهله وولده ، وما أظنك تفعل ، وإياكَ أن تبني مدينة الشرقية فانك لاَ تتمُّ بناءَها وأظنُّك ستفعل ، وإياك أنْ تستعينَ برجلٍ من بني سليم وأظنك ستفعل ، وإياك أن تُدخِلَ النساءُ في أمرك وأظنُّك ستفعلُ .

(1) في الطبري " اخفض " .

وقيل : قال له : ولِدْتُ في ذي الحجة ووليْت في ذي الحجة، وقد هجس في
نفسي أنّي أموتُ في ذي الحجة من هذه السنة وإنما حداني على الحجِّ ذلك ، فاتق الله فيما أعهدُ إليكَ من أمور المسلمين بعدي ، يجعل لك فيما كربكَ وحُزْنكَ فرجاً ومخرجاً،ويرزقك السلامة وحسنَ العاقبة من حيث لا تحتسب .
يا بني احفظ محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته يَحْفَظْكَ الله ويحفظْ عليك أمورَكَ ، وإياك والدّم الحرام ، فإنه حوب عند الله عظيمٌ ، وعارٌ في الدنيا لازمٌ مقيمٌ ، و الزم الحدودَ، فإن فيها خلاَصك في الآجل ، وصلاحَك في العاجل ولاَ تعتد فيها فتبور فإنّ الله تعالى لو علم شيئاً أصلحَ منها لدينه وأزجر عن معاصيه لأمر به في كتابه .
واعلم أنَّ من شدةِ غضبِ الله لسلطانه ، أنه أمرَ في كتابه بتضعيف العذاب والعقابِ على من سعى في الأرضِ فساداً مع ما ذَخَرَ له عنده من العذاب العظيم فقال : { إنماء جزاء الذين يحاربون الله ورسولَه ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا} الآية(1) .
فالسلطان - يا بنيّ - حبلُ الله المتين وعُرْوَتُهُ الوُثقى ودِينُهُ القيِّم ، فاحفظْهُ وحصِّنْهُ ، وذبْ عنه وأوْقِعْ بالملحدين فيه واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنهُ بالعقاب ، ولاَ تجاوزْ ما أمر الله به في فحْكم القرآن واحكم بالعدل ولاَ تشطّط فإنَّ ذلك أقْطَعُ (2) للشغب واحسمُ للعدوّ وانجعُ في الدواء ؛ وعُفَّ عن الفيء ، فليس بك إليه حاجة مع ما خلَّفَهُ الله لك ؛ وافتتحْ عملكَ بصلةِ الرحـم وبرّ القرابةِ ؛ وإياك والإِثرة والتبذير لأموال الرعيّة واشْحَن الثغورَ واضبطِ الأطرافَ وأمن السُبلَ وسكّن العامة وأدخِلِ المرافق عليهم ، وادفعِ المكارة عنهم وأعِدْ الأموال واخزنْها ؛ وإياك والتبذير ، فإن النوائبَ غيرُ مأمونةٍ وهي من شيم الزمان ؛ وأعد الكراع والرجالَ والجندَ ما استطعْتَ ، وإياك وتأخيرَ عمل اليوم إلى الغد ، فتتدارك عليك الأمورُ وتفجعُ ؛ جدَّ في أحكام الامورِ النازلاَتِ لأوقاتها أولاً فأولاَ واجتهدْ وشقرْ فيها وأعِدْ رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ، ورجالاً بالنهار لمعرفةِ ما يكون بالليلِ ، وباشرِ الأمورَ بنفسكَ ولاَ تضجرْ ولاَ تكسلْ واستعمل حسنَ

(1) المائدة 33 .
(2) في نسخة " أفظع " .

الظنِ بربك ، وأسِىء الظن بعمالِكِ وع شابِكَ ، وخذ نفسَك بالتيقُظِ وتفقدْ مَنْ تثبَّتَ (ا) على بابك ، وسهل اذنَكَ للناسِ ، وانظرْ في أمرِ النزاعِ اليك ووكِّلْ بهم عيناً غير نائمةٍ ونفساً غيرَ لاهية ، ولاَ تنمْ وإياكَ فإن أباك لم ينمْ منذ وُليَ الخلافة ، ولا دخلَ عينَه الغمضُ إلاَّ وقلبه مستيقظٌ ؛ هذه وصيتي اليك والله خليفتي عليك ، ثم ودعهُ وبكى كل واحد منهما إلى صاحبه .
ثم سَار إلى الكوفة وجمعَ بين الحج والعمْرة وساقَ الهدي وأشعره (2) ، وقلَده
لأيام خَلَتْ من ذي القعْدة، فلما سارَ منازل من الكوفة عرضَ له وجَعُه الذي مات به وهو القيامُ فلمّا اشتدَ وجَعُهُ جَعَلَ يقولُ للربيع : بادَرَني حرمُ ربّي هارباً من ذنوبي - وكان الربيعُ عديلَهُ - ووصَّاه بما أراد فلما وصلَ إلى بئرِ ميمون مات بها مع السحـر لسِتٍّ خلوْن من ذي الحجة ، ولم يحضرْهُ عند وفاته إلا خَدمُهُ والربيع مولاه ؛ فكتم الربيعُ موته ومَنَعَ من البكاء عليه ثم أصبح فحضَر أهلُ بيتِهِ كما كانوا يحضرون . وكان أول من دعا عمه عيسى بن علي فمكثَ ساعة ، ثم أذِنَ لابن أخيه عيسى بن موسى وكان فيما خلاً يقدم على عيسى بن علي ، ثم أذن للأكابر وذوي الأسنان منهم ثم لعامتهم ، فبايعهم الربيع للمهدي ولعيسى بن موسى بعده على يدي موسى الهادي بن المهدي ؛ فلما فرغ من بيعة بني هاشم بايع القواد وبايعَ عامة الناس .
وسار العباس بن محمد ، ومحمد بن سليمان إلى مكة ليبايعا الناس فبايعوا بين
الركن والمقام ، واشتغلوا بتجهيز المنصور ففرغوا منه العصرَ ، وكُفِّن ، وغُطِّيَ وجهُه وبدنُه وجُعِلَ رأسُهُ مكشوفاً لأجل إحرامه ، وصلَّى عليه عيسى بن موسَى ، وقيل : إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ودُفِنَ في مقبرة المعلاة ، وحفروا له مائة قبر ليغمُّوا على الناس ودفن في غيرها . ونزِلَ في قبرهِ عيسى بن علي ، وعيسى بن محمد ، والعباس بن محمد ، والربيع ، والريان مولياه ، ويقطين ، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة ، وقيل : أربعاً وستين ، وقيل : ثمانياً وستين سنة .
فكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة إلاَّ أربعة وعشرين يوماً ، وقيل : إلاَّ ثلاَثة أيام ، وقيل : إلا ستة أيام ، وقيل : إلا يومين ، وقيم ! في موته : إنه لمَّا نزل آخر منزل

(ا) في الطبري " من بيت " .
(2)أي جرح سنام الإبل وغمس شعر السنام في الدم .

بطريق مكة ، نظر في صدر البيت الذي نزل فيه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم

أبا جعفر حـانتْ وفاتك وانقضتْ سنـوك وأمْـرُ الله لاَ بـدَّ واقـعُ

أبـا جعفرٍ هـلْ كـاهن أم منجمٌ لك اليوم من حرِّ المنية مانـعُ

فاحضرَ متولي المنازل وقال اسه : ألم آمرك أن لا يدخلَ المنازل أحدٌ من الناس

قال : والله ما دخله أحدٌ منذُ فَرِغَ فقال : إقرأ ما في صدر البيت فقال : ما أرى شيئاً فأحضرَ غيرَه فلم ير شيئاً فأملى البيتين ، ثم قال لحاجبه : إقرأ لي آية من كتاب الله فقرأ { وسيعلمُ الذين ظَلَموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون }(ا) فأمر به فضربَ ورحل من المنزل تطيُّراً فسقط عن دابته فاندقَ ظهرُه ومات فدُفِن ببئر ميمون . والصحيح ما تقدم .

ذكر صفة المنصور وأولاده

كان أسمرَ نحيفاً خفيفَ العارضين ولد بالحُميْمةِ من أرض الشراة ، وأما أولاَده فالمهدي واسمـه محمد ، وجعفر الأكبر وأمهما أروى بنت منصور أخت يزيد بن منصور الحميري ، وكـانت تكنى أم موسى ؛ ومات جعفر قبل المنصور ، ومنهم سليمان ، وعيسى ، ويعقوب، أمهم فاطمة بنت محمد من وُلد طلحة بن عبيد الله ، وجعفر الأصغر وأمه أم ولد كردية ، وكان يقال له؛ ابن الكردية ، وصالح المسكين ، أمه أم ولد رومية ، والقاسم مات قبل المنصور وله عشرُ سنين ، أمه أم ولد تعرف بأم الف سم ولها بباب الشام بستانٌ يُعرفُ ببستان أم القاسم ، والعالية أمها امرأةٌ من بني أمية.

ذكر بعض سيره المنصور

قال سلام الأَبرش : كنت أخدمُ المنصور داخلاً في منزله وكان من أحسن الناس

خلقاً ما لم يخرج إلى الناس ، وأشدُ احتمالاً لما يكون من عبث الصبيان ؛ فإذا لبس ثوبه أربَدَّ لونه ، واحمرتْ عيناه ، فيخرج منه ما يكون وقال لي يوماً : يا بني إذا رأيتني فد لبست ثيابي أو رجعتُ من مجلسي فلاَ يدنونَ مني منكم أحدٌ مخافة أن أغرَّه (2) بشيء قال : ولم يُرَ في دار المنصور لهو ولا شيء يشبه اللهو واللعب والعبثَ إلا مرةً واحدة ،

(1) الشعراء : 227 .

(2) في الطبري " أن أعزه " بالعين المهملة .

رؤي بعض أولاده وقد ركب راحلةً وهو صبى وتنكَّب قوساً في هيئة الغلام الاعرابي بين جوالقيْن فيهما مقل ومساويك وما يهديه الأعراب ، فعجب الناس من ذلك وأنكروه فعبر إلى المهدي بالرصافة فاهداه له فقبله وملأ الجوالقين دراهم فعاد بينهما فَعَلِمَ أنه ضَرْب من عبثِ الملوكِ .
قال حمَّاد التركي : كنت واقفاً على رأس المنصور ، فسَمِعَ جَلَبةً فقال : أنظر ما
هذا؟ فذهبت فإذا خادمٌ له قد جلسَ حوله الجواري وهو يضرِبُ لهنَّ بالطنبور وهن يضحكْنَ فاخبرته فقال : وأيُّ شيءٍ الطنبورُ؟ فوصفته له فقال : ما يدريك أنت ما الطنبور ؟ قلت : رأيته بخراسان ، فقام ومشى إليهنَّ فلما رأينَهُ تفرقْنَ فأمر بالخـادم فضرب رأسه بالطنبور حتى تكسر الطنبور وأخرج الخادمَ فباعه .

قال : وكان المنصور قد استعمل معن بن زائدة على اليمن لما بلغه من الاختلاف هناك ، فسار إليه وأصلحه وقصده الناس من اقطار الأرض لاشتهار جوده ، ففرق فيهم الأموال ، فسخط عليه المنصور فأرسل إليه معن بن زائدة وفداً من قومه فيهم مجاعة بن الأزهر وسيَّرهم إلى المنصور ليزيلوا غيظَهُ وغضبه ،.
فلما دخل على المنصور ابتدأ مجاعةُ بحمدِ الله والثناءِ عليه وذِكْرِ النبي صلى الله عليه وسلم فأطنبَ في ذلك حتى عَجِبَ القومُ ، ثم ذَكَرَ المنصور وما شرَّفه الله به وذكر بعد ذلك صاحبَه فلما انقضى كلامه قال : أمَّا ما ذكرتَ من حمدِ الله ، فالله أجلُّ مِنْ أنْ تبلغَه الصفاتُ ، وأما ما ذكرتَ من النبي صلى الله عليه وسلم فقد فضَّلَه الله تعالى بأكثر مما قلت ، وأمَّا ما وصفتَ به أميرَ المؤمنين فإنّه فضله الله بذلك وهو معينه على طاعتِه إنْ شاء الله تعالى ، وأمَّا ما ذكرتَ من صاحبك فكذبت ولؤمت اخرج فلا يقبلُ ما ذكرته ، فلما صاروا بآخر الأبواب أمرَ برده مع أصحابه فقال : ما قلت ؟ فأعادَه عليه فأخرجوَا، ثم أمرَ بهم فاوقفوا، ثم التفت إلى من حضر من مضر فقال : هل تعرفون فيكم مثل هذا؟ والله لقد تكلَّم حتى حسدْته وما منعني أن أتمِّ على ردِّه إلَّا أنْ يُقال حسدَه لأنه من ربيعة وما رأيت مثله رجلاً أرْبَطَ جاشعاً ولا أظهر بياناً ردَّه يا غلام ، فلما صار بين يديه قال : أقصدْ بحاجتك (l) قال : يا أميرَ المؤمنين ، معن بن زائدة عبدُك وسيفُك وسهْمُكَ رميْتَ به عدوك فضرَبَ وطعنَ ورمى حتى سَهُلَ ما حزن ، وذلَّ ما صعبَ واستوى ما كان مِعْوجاً من اليمن

، فاصبحوا من خول أمير المؤمنين أطال الله
(1) في الطبري " أقصد لحاجتك وحاجة صاحبك " .

بقاءه ،فإن كان في نفس أميرِ المؤمنين هنة من ساعٍ أو واش أو حاسد ، فأمير المؤمنين أولى بالفضل على عبده ، ومن أفنى عمره في طاعته فقبل عذره ، وأمر بصرفهم اليه ، فلما قرأ معن الكتاب بالرضا قَبَّلَ ما بين عينيه ، وشكر أصحابه وأجازَهم على أقدارهم وأمرهم بالرحيل إلى المنصور فقال مجاعة :

ـ آليت في مجلس من وائل قسماً أن لا أبيعـك يا معنُ بـأطماعِ

ـ يـا معنُ إنك قـد أوليتني نعماً عفْتَ لحيمـاً وخصتَ آل مجـاع

ـ فلا أزال إِليك الدهر منقطعاً حتى يشيدَ بهلكي هتفه الناعي

وكان نعم معن على مجاعة أنه قض له ثلاَث حوائج ،، منها أنه كان يتعشّقُ جاريةً من أهلِ بيتِ معنٍ اسمها زهراء، فطلبها فلم يُجَبْ لفقْرِهِ ، فطلبها من معن ، فأحضر أباها فزوجه إياها على عشرةِ آلاَف درهم وامهرها منْ عنده ، ومنها انه طلب منه حائطاً بعينه فاشتراها له ، ومنها انه استوهب منه شيئاً فوهَبَ له ثلاثين ألف درهم تمام مائة ألف .

قيل : وكان المنصور يقول : ما أحوجني أنَ يكون على بابي أربعة نفر لا يكون

على بابي أعفَّ منهم ، هم أركان الدولة ، ولا يصلحُ الملكُ إلَّا بهم ، أما أحدهم فقاض لا تأخذه في الله لومةُ لاَئمٍ ، والآخر صاحبُ شرطتن ينصُفُ .الضعيف من القوي ، والثالثُ صاحبُ خراج يستقصي ولاَ يظلمُ الرعية فاني عن ظلمها غني ، ثم عض على إصبعه السبابة ثلاَث مرات يقول في كل مرة: آه آه، قيل : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال ؛ صاحبُ بريد يكتبُ خبرَ هؤلاءِ على الصحة .

وقيل : دعا المنصورُ بعامل قد كسرَ خراجَه فقال له : أدِّ ما عليك فقال : والله ما

أملك شيئاً وأذنَ مؤذن أشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله فقال : يا أميرَ المؤمنين هبْ ما علَيَّ لله وشهادة أن لاَ إله إلا الله ، فخلّى سبيله ، وقيل : أتى ه بعامل فحبسَه وطالبَه فقال العامل : عبدُك يا أمير المؤمنين فقال : بئسَ العبدُ أنت فقال : لكنك نِعْم المولي قال : أما لَك فلا ، قيل : وأتِيَ بخارجي قد هَزَمَ له جيوشاً فأرادَ ضرْبَ رقبتِهِ ثم ازْدَراه فقال : يا بن الفاعلة ، مثلك يهزمُ الجيوشَ ؟ فقال له : ويلك وسوأة لك أمس بيني وبينك

السيفُ واليوم القذف والسب ، وما كان يؤمنُك أنْ أردَّ عليك وقد يئسْتُ من الحياة فلا تستقيلها أبداً فاستحيا منه المنصور وأطلقه .

قيل : وكان شغلُ المنصور في صدرِ نهاره بالأمر ، والنهي ، والولايات ،
والعزل ، وشحن الثغور والأطراف ، وأمن السبل ، والنظر في الخراج والنفقات ، ومصلحة معاش الرعية والتلطفِ بسكانهم وهدْيهم ، فإذا صلى العصر جلس لأهل بيته ، فاذا صلى العشاء الآخرة جلس ينظرُ فيما وَرَدَ من كتب الثغور والأطراف ، والأفاقَ وشاورَ سمارَه ، فاذا مض ثلث الليل قام إلى فراشه وانصرف سماره ، وإذا مضى الثلث الثاني قام فتوضأ وصلى حتى يطلع الفجرُ ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيجلس في إيوانه .
قيل : وقال للمهدي :لا تبرمْ أمراً حتى تفكر فيه فإن فكْر العاقلُ مرآته تريهِ حسنه وسيئه ، يا بني لا يصلُح السلطان إلا بالتقوى ولا تصلحُ رعيته إلا بالطاعةِ ولا تعمرُ البلَادُ بمثل العدْلِ وأقدر الناسِ على العفو أقدرهم على العقوبة وأعجزُ الناسِ من ظَلم منْ هو دونه ، واعتبرْ عمل صاحبك وعلمه باختباره .
يا أبا عبد الله :لا تجلسنْ مجلساً إلا ومعك من أهلِ العلم منْ يحدثُك ؛ ومنْ أحب أن يحمدَ أحسَن السيرَة ،ومن أبغضَ الحمدَ أساءها وما أبغضَ الحمد أحدٌ إلا استذم وما استذَمَّ إلا كره، يا أبا عبد الله ليس العاقل الذي يحتال للأمر الذي غَشِيهُ بل العاقل الذي يحتالُ للأمر حتى لا يقعَ فيه .
وقال للمهدي يوماً : كم رايةً عندك ، قال :لا أدري قال : إنا لله (1) أنت لأمر الخلافة أشد تضييعاً ولكنْ قد جَمَعْتُ لك ما لا يضركَ معه ما ضيعْتَ فاتقِ الله فيما خولك ، قيل : وقال اسحاقَ بن عيسى لم يكن أحدّ من بني العباس يتكلم فيبلغ حاجتَهُ على البديهةِ غير المنصور ، وأخيه العباس بن محمد ، وعمهما داود بن علي .
قيل : وخَطب المنصورُ يوماً فقال : الحمد لله أحمدُهُ وأستعينُه وأومنُ به وأتوكلُ
عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له ، فاعترضه انسان فقال : أيُّها الانسان أذكرك من ذكرت به ، فقطع الخطبة ثم قال : سمعاً سمعاً لمن حفظَ عن الله وأعوذُ بالله أن أكونَ جباراً عنيداً أو تأخذني العزةُ بالإثم فطه ضَلَلْتُ إذاً وما أنا من المهتدين ؛ وأنت أيها القائل فوالله ما أردت بهذا القولِ الله ، ولكنك أردتَ أن يُقال : قام فقالَ
(1) في الطبري " قال هذا والله التضيع " ولعل ما هنا محرف .

فعوقِبَ فصَبَر وأهون بها ، ويلك لقد هممت واغتنمْها إذا عفوْتُ وإياكَ وإياكم معاشرَ المسلمين أختها ، فإنّ الحكمة علينا نزلتْ ومن عندنا فصلتْ فرُدُّوا الأمرَ إلى أهله تُورِدوه مواردَه وتصدروه مصادرَه ؛ ثم عاد إلى خطبته كأنما يقرؤها فقال : وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسوله .

وقال عبد الله بنُ صاعد :خَطَبَ المنصور بمكة بعد بناء بغدادَ فكان مما قال :

{ ولقدْ كتبْنا في الزَبور منْ بعد الذكر أنَّ الأرضَ يرِثُها عبادي الصالحون }(1) أمر مبرمٌ وقوْل عدْل وقضاء فصل ، والحمد لله الذي أفلجَ حجَّتَه وبُعداً للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضاً والفيء إرثاً ، وجعلوا القرآن عضين لقد عاقَبهم ما كانوا به يستهزئون . فكم ترى من بئرٍ معطلةٍ ، وقصر مشيْد ، أهملهم الله حينَ بدَّلوا السنة وأهمَلُوا العِبْرة(2) وعَنِدُوا واعتدَوْا واستكبروا ، وخاب كل جبَّار عنيدِ ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمعُ لهم ركزاً .

قال : وكتب إليه رجلٌ يشكر بعضَ عمالِهِ فوقَّعَ إلى العامل في الرقعة إن آثرْتَ

العدلَ صحبَتْكَ السلاَمةُ لانْ آثرت الجوْر فما أقربُك من الندامة فأنصفْ هذا المتظلم من الظُلامةِ .

قيل : وكَتَبَ إلى المنصور صاحبُ أرمينية يخبرُه أن الجند قد شغَبوا عليه ،

ونهبوا ما في بيتِ المال ، فوقَّعَ في كتابه ؛ اعتزل عملنا مذموماً مدحوراً فلو عقلت لم يشغبوا ولو قويْتَ لم ينْهبوا .

وهذا وما تقدَّم من كلامه ووصاياه يدلُّ على فصاحته وبلاَغته ؛ وتد تقدم له أيضاً من الكتب وغيرها ما يدلّ على أنه كان واحدَ زمانهِ إلا أنه كان يبخلُ .

وما نُقِلَ عنه من ذلك قال الوضين بن عطاء : استزارني المنصورُ وكان بيني وبينه خلة قبل الخلافةِ فخلوْنا يوماً فقال لي : يا أبا عبد الله ما لكَ ؟ قلت الخبر الذي تعرفُه قال : وما عيالك ؟ قلت : ثلاَثُ بنات والمرأةً وخادمٌ لهن فقال : أربعٌ في بيتك ؟

(1)الأنبياء :105 .

(2) في الطبري " واضطهدوا العترة " .

قلت : نعم فردّدها حتى ظننت أنه سَيُعنُني ثم قال : أنت أيسرُ العربِ أربعُ مغازِلَ يدرْنَ في بيتك .
قيل :رَفَعَ غلاَمٌ لأبي عطاء الخراساني أنَّ له عشرة آلاف دِرْهم فأخذها منه
وقال : هذا مالي ، قال : من أين يكونُ مالك ، ووالله ما وليتك عملاً قطّ ، ولا بيني وبينك رحمٌ ولا قرابة قال : بلى كنت تزوجتُ امرأةً لعيينة بن موسى بن كعب ، فورثتك مالاً وكان قد عَصِيَ بالسند وأخذ مالي وهو والٍ على السند فهذا المالُ من ذاك ، وقيل لجعفر الصادقَ: إنَ المنصور يكثرُ من لبسِ جبَّةِ هرويةِ وأنه يرقعُ قميصَه فقال جعفرُ: الحمد لله الذي لَطَفَ به حتى ابتلاه بفقر نفسه في مُلْكِهِ ، قيل : وكان المنصور إذا عَزَلَ عاملاً ، أخذَ مالَه وتركَهُ في بيتِ مال مفردٍ سماه بيتُ مالِ المظالمِ ، وكتب عليه اسمَ صاحبِهِ وقال للمهدي : قد هيأتُ لكَ شيئاً فإذا أنا متُ فادعُ مَنْ أخذتُ ماله فارددهُ عليه (ا) فإنك تستحمدُ بذلك إليهم وإلى العامةِ ففعل المهدي ذلك .
وله في ضدِّ ذلك أشياءٌ كثيرةٌ ، قيل : وذَكَر زيدُ مولى عيسى بن نهيك قال :
دعاني المنصور بعد موت مولاي فسألني كم خَلفَ مِنْ مال ؟ قلت : ألفَ دينار وأنفقَتْهُ امرأته في مأتمِهِ قال : كم خَلَّفَ من البنات ؟ قلت : ستاً فأطرق ملياً ثم رفع رأسَهُ وقال : اغْدُ إلى المهدي ؛ فغدوت إليه فأعطاني مائة ألفٍ وثمانين ألف دينار، لكلِّ واحدةٍ منهنَّ ثلاثون ألفاً ، ثم دعاني المنصور فقال : عدْ عليَّ بأكفائهن حتى أزوجهنَّ ، ففعلت فزوجهُنَ وأمرَ أنْ تُحمَلَ إليهن صَدقَاتهنَ من مالِه لكلِّ واحدةٍ منهنّ ثلاثون ألف درهم ، وأمرني أن أشتري بمالهن ضياعاً لهنَ يكون معاشهنَّ منها .
قيل : وفرَّقَ المنصورُ على جماعةٍ منْ أهل بيته في يوم واحدٍ عشرة آلاف ألف
درهم ، وأمر لجماعةٍ من أعمامه منهم سليمان ، وعيسى ، وصَالح ، وإسماعيل لكل رجلٍ منهم بألفِ ألفِ ، وهو أول من وصل بها ، وله في ذلك أخبارٌ كثيرة ؛ وأما غيرُ ذلك قال يزيد بن عمر بن هبيرة : ما رأيت رجلاً قط في حرب ولا سمعتُ به في سِلم أنكرَ ولاً أمكرَ تيقظاً من المنصور ؛ لقد حصرني تسعة أشهر ومعي فرسان العرب ،
(1) عبارة الطبري هكذا " فادع هؤلاء الذين أخذت منهم هذه الأموال التي سميتها المظالم فاردد عليهم كل ما أخذ منهم فانك " الخ .

فجهدنا بكل الجهد أن ننالَ من عسكرِهِ شيئاً فما تهيأ ، ولقد حصرني وما في رأسي شعرة بيضاءُ فخرجْت إليه وما في رأسي شعرة سوداء .
قيل : وأرسل ابن هبيرة إلى المنصور وهو محاصرُهُ يدعو إلى المبارزة؛ فكتب
إليه : أنك متعدٍ طوركَ جار في عِنانِ غيك ، يعدُك الله ما هو مصدقُهُ ، ويمنيك الشيطان ما هو مكذبُه ،ويقرب ما الله مباعده ، فرويداً يتم الكتاب أجله وقد ضربت مثلي ومثلك .
بلغني أن أسداً لقي خنزيراً فقال له الخنزير : قاتلني فقال الأسد : إنّما أنت خنزير ولست بكفء لي ولاً نظيرً، ومتى قاتَلْتُك فقَتَلْتُكَ قيل لي :قَتَلَ خنزيراً فلاً أعتقد فخراً ولا ذكراً وإن نالني منك شيئاً كان سَبَّةً علي ، فقال الخنزير : إنْ لم تفعل أعلمت السباعَ أنك نكلتَ عني ، فقال الأسد : احتمال عارُ كذبك عليَّ أيسرُ من لطْخ شرابي بدمك .
قيل : وكان المنصور أول من عَمَل الخيشَ ، فإن الأكاسرة كانوا يطينون كل يوم
بيتاً يسكنونه في الصيف وكذلك بنو أمية ،قيل : وأتِيَ برجل من بني أمية فقال : إني أسألك عن أشياء فاصدقني ولك الأمان قال : نعم قال : من أين أتى بنو أمية حتى انتشرَ أمرهم ؟ قال : من تضييع الأخبارِ قال : فأي الأموالِ وجدُوها أنفعُ ؟ قال : الجوْهرُ قال : فغدَ مَنْ وجلوا الوفاء ؟ قال : عند مواليهم فأراد المنصور أن يستعينَ في الأخبار بأهلِ بيته ضال : أضع منهم فاستعانَ بمواليه .

ذكر خلافة المهدي والبيعة له

ذَكَر علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال؛ خرجتُ من البصرة حاجاً فاجتمعْتُ بالمنصور بذات عرقَ فكنت أسئمُ عليه كلما ركِبَ وقد أشفى على الموت ، فلما صار ببئر ميمون ، نزل به ، ودخلنا مكة ، فقضيتُ عُمرتي ، وكنت أختلفُ إلى المنصور ، فلما كان في الليلة التي مات فيها ، ولم نعلم صليْتُ الصبح بمكة وركبتُ أنا ومحمد بن عون بن عبدالله بن الحرث – وكان من مشايخ بني هاشم وسادتهم - ، فلما صرنا بالأبطح لقِينا العباس بن محمد ومحمد بن سليمان في خيل إلى مكة فسلمنا عليهما ومضينا فقلت لمحمد : أحسب الرجل قد مات فكان كذلك .

ثم أتينا العسكر فإذا موسى بن المهدي قد صدر عند عمود السرادقَ والقاسم بن المنصور في ناحية من السرادق وقد كان قبل ذلك يسيرُ بين المنصور وبين صاحب الشرطة؛ ورفع الناس اليه القصَ ، فلما رأيته علمتُ أن المنصور قد مات ، وأقبل الحسن بن زيد العلوي وجاء الناس حتى ملؤوا السرادـق ، وسمعنا همساً من بكاء ، وخرج أبو العنبر خادم المنصور مشقّق الأقبية وعلى رأسه التراب ، وصاح وا أمير المؤمنيناه ! فما بقي أحدٌ إلا قام ، ثم تقدّموا ليدخلوا عليه فمنعَهُم الخدمُ .
وقال ابن عياش (1) المنتوف : سبحانَ الله ، أما شهدتم موتَ خليفةٍ قطّ اجلسوا فجلسوا ، وقام القاسِمُ فشق ثيابَهُ ووضعَ الترابَ على رأسه وموسى جالسٌ على حاله ؛ ثم خرج الربيع وفي يدِهِ قِرطاسٌ ، ففتحه فقرأه ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى من خَلَفَ بعده من بني هاشم وشيعته من أهل خراسان وعامة المسلمين ؛ ثم ألقى القرطاس من يده وبكى وبكى الناس ثم قال : قد أمكنكم البكاء فأنصتوا رحمكم الله ، ثم قرأ : أما بعد فإني كتبت كتابي هذا وأنا حي في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، أقرأ عليكم السلام وأسال الله أنْ لا يفتنكم بعدي ولا يلبسكم شيعاً ، ولا يذيق بعضكم بأس بعض .
ثم أخذ في وصيتهم بالمهدي واذكارهم البيعة له ،وحثهم على الوفاء بعهده ،ثم تناولَ يدَ الحسن بن زيد وقال ؛ قمْ فبايعْ ، فقام إلى موسى فبايعَهُ ، ثم بايعه الناسُ الأول فالأول ،ثم أدخلَ بنو هاشم على المنصور ، وهو في أكفانه مكشوفُ الرأس ، فحملناه حتى أتينا به مكة ثلاثة أميال ، فكأني انظر اليه والريح تحرك شعرَ صدغيه ، وذلك انه كان وفَر شعره للحلق ، وقد نصل خضابه حتى أتينا به حفرته وكان أولُ شيء ارتفعَ به علي بن عيسى بن ماهان ، ان عيسى بن موسى أبى من البيعة ، فقال علي بن عيسى بن ماهان : والله لتابيعنَ ولأضربنَ عنقك ، فبايع ثم ض نجَه موسى بن المهدي والربيع إلى المهدي بخبر وفاة المنصور وبالبيعة له مع منارة مولى المنصور ،وبعثا أيضاً بالقضيب وبُرْدة النبي صلى الله عليه وسلم وبخاتم الخلافةِ ، وخرجوا من مكة فقدِمَ الخبرُ على المهدي مع منارة منتصف ذي الحجة فبايعه أهلُ بغداد ، وقيل : إن الربيع كتم موتَ المنصور ، وألبَسَهَ وسندَه ، وجعل على وجهه كلةً خفيفةً ، يرى شخصه منها ولا يفهم أمرُه وادنى أهله منه ، ثم قرب منه الربيع كأنه يخاطبه ، ثم رجع إليهم وأمرهم عنه بتجديدِ البيْعة

للمهدي فبايعوا ثم أخرجهم وخرجَ إليهم باكياً مشقّق الجيب لاًطماً رأسَهُ ، فلما بلغ ذلك المهدي أنكره على الربيع وقال : أما مَنَعْتكَ جلالةُ أمير المؤمنين أن فعلت به ما فعلت ، وقيل : ضربه ولم يصح ضربُهُ .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عَزَلَ المنصور المسيب بن زهير عن شرطتِهِ وحَبَسهُ مقيداً ، وسبب ذلك أنه ضرَبَ أبان . بن بشير الكاتب بالسياط ، حتى قتَلَهُ ، لأنه كان شريكَ أخيه عمرو بن زهير في ولاَية الكوفـة واستعمل على شرطتِهِ الحكَم بنَ يوسفَ صاحبَ الحراب ، ثم كتَم المهدي أباه في المسيب فرضيَ عنه ، وأعادَهُ إلى شرطته ، وفيها استعمل المنصور نصرَ بنَ حرب بن عبد الله على ثغرِ قارسٍ ، وفيها عاد المهدي من الرَّقة فيء شهرِ رمضان ، وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدثِ فلقيَ العدو ، فاقتتلوا ثم تحاجزوا ؛ وفيها حبسَ محمد بن إبراهيم الإمام - وهو أمير مكة - جماعة ، أمر المنصور بحبسهم وهم رجلٌ من آل علي بن أبي طالب كان بمكة ، وابن جريج ، وعباد بن كثير ، وسفيان الثوري ، ثم أطلقهم من الحبس بغير أمرِ المنصور ، فغضب عليه أبو جعفر ، وكان سبب اطلاقِهم أنه أنكرَ وقال : عمدت إلى ذي رحم فحبسْته -يعني بعضَ وُلْدِ علي -وإلى نفر من أعلاَم المسلمين فحبسْتهم ، وتقدّم أميرُ المؤمنين فلعلَّه يأمرُ بقتْلهم فيشذَّ سلطانَه وأهلك فأطلقَهُم وتحلل منهم .

فلما قارب المنصور مكة أرسل إليه محمدّ بن إبراهيم بهدايا ، فردَها عليه .

وفيها شخصَ المنصور من بغدادَ إلى مكة ، فمات في الطريق قبل أن يبلُغَها .

وفي هذه السنة غزا عبد الرحمن صاحب الأندلس مدينة قورية ، وقصدَ البربرَ

الذين كانوا أسلموا عامِله إلى شقنا فقَتَلَ منهم خلقاً من أعيانهم واتبع شقنا حتى جاوز القصرَ الأبيضَ والدربَ ففاته ، وفيها مات أورالي ملك جليقية وكان مُلْكُه ستَّ سنين ؛ ومَلِكَ بعدَه شيالون ، وفيها توفي مالك بن مغول الفقيه البجلي بالكوفة ، وحبوة بن شريح بن مسلم الحضرمي المصري ، وكان العامل على مكة ، والطائف إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله ، وعلى المدينة عبد الصمد بن علي ، وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبي ، وقيل : إسماعيل بن إسماعيل الثقفي ،

وعلى قضائها

شريكٌ بن عبد الله النخعي ، وعلى خراجها ثابت بن موسى ، وعلى خراسان حميد بن قحطبة ، وعلى قضاء بغداد عبد الله (1)بن محمد بن صفوان ، وعلى الشرطة بها عمر بن عبد الرحمن (2) أخو عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وقيل : موسى بن كعب ، وعلى خراج البصرة وأرضِها عمارةُ بن حمزة ، وعلى قضائِها والصلاةِ عبيدُ الله بنُ الحسن العنبري ، وأصاب الناسَ هذه السنة وباخ عظيم .

(1) في الطبري " عبيد الله " بالتصغير .

(2) في بعض النسخ " عمر بن عبد العزيز ، وهو تحريف بدليل اسم أخيه وما هنا موافق لما في الطبرى .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

ذِكرُ الحسن بن إبراهيم بن عبد الله

في هذه السنة حـوَّل المهدي الحسنَ بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسنِ بن الحسن بن علي من محبسِهِ ، وسبب ذلك أنه كان محبوساً مع يعقوب بن داود في موضعٍ واحدٍ ، فلماَ أطلِقَ يعقوبُ وبقيَ هو ساء ظنّه فالتمس مخرجاً فأرسلَ إلى بعضِ مَنْ يثقُ إليه ، فحفر سرباً إلى الموضع الذي هو فيه ، فبلغ ذلكَ يعقوبَ فأتى ابن علاثة القاضي – وكان قد اتصل به – فقال : عندي نصيحة للمهدي وطلب اليه إيصاله إلى أبي عبيد الله وزيره ، ليرفعها إليه فاحضره عنده ، فلما سأله عن نصيحته سأله عن إيصاله إلى المهدي ليعُلمَهُ بها ، فأوصله إليهِ فاستخلاه فاعلمَهُ المهدي ثقتَهُ بوزيرِهِ وابن علاثة فلم يقل شيئاً حتى فاما فأخبره خبرَ الحسن ، فانفذَ مَنْ يثقُ إليه ، فأتاه بتحقيق الحالِ ، فأمر بتحويلِ الحسن فحوِّل ثم احتيلَ له فيما بعد ، فهربَ وطلبَ فلم يظفر به ، فأحضر المهدي يعقوبَ وسأله عنه فاخبره أنه لاَ يعلمُ مكانَهُ وأنّه إنْ أعطاهُ الأمانَ أتاه به ، فأمَّنَهُ وضَمِنَ له الاحسانَ فقال له : أتركْ طلبه فإنَ ذلك يوحِشُهُ ، فتركَ طلَبه ؛ ثم إن يعقوب تقدم عند المهدي فاحضرَ الحسنَ بنَ إبراهيم عندَه .

ذِكرُ تقدمِ يعقوبَ عند المهدي

قَد تقدمَ ذِكرُ وصوله إليه ، فلما أحضره المهدي عندَه في أمر الحسن بن إبراهيم

كما تقدَّم قال له : يا أميرَ المؤمنين إنك قد بسْطتَ عدْلَك لرعيتك ، وأنصفتَهم ، وأحسنتَ إليهم ، فعَظُمَ رجاؤهم وقد بَقيتَ أشياء لو ذكرْتُها لك لم تدع النظر فيها ؛ وأشياءُ خلفَ بابِك تعملُ ولا تعلمُ بها ، فإنْ جعلتَ إلي السبيل إليك رَفَعتها . فأمر بذلك فكان يدخلُ عليه كلما أراد ويرفعُ اليه النصائحَ في الأمور الحسنةِ الجميلة من أمر الثغور ، وبناء الحصونِ ، وتقوية الغزاة ، وتزويجِ العزابِ ، وفكاكِ الأسرى

والمحبسين ، والقضاءَ عن الغارمين ، والصدقةَ على المتعَففين .
فحظي عنده بذلك وعلت منزلته حتى سقطت منزلةِ أبي عبيد الله وحبس وكتب المهدي توقيعاً بأنه قد اتخذه أخاً في الله ووصَله بمائة ألف .

ذكر ظهور المقنّع بخراسان

وفي هذه السنة قبلَ موت حميد بن قحطبة ظهر المقنعُ بخراسان ، وكان رجلاً
أعورَ قصيراً من أهل مرو وُيسمَى حكيماً ، وكان اتخَّذَ وجْهاً من ذهب فجعله على وجهه لئلاَّ يُرى ، فسُمّي المقنعُ وادَعى الألوهِيَّة ولم يُظهِرْ ذلك إلى جميع أصحابه ، وكان يقول : إن الله خلقَ آدم فتحوَّلَ في صورتِهِ ثمَّ في صورةِ نوح وهلم جرا إلى أبي مُسْلم الخراساني ثم تحوّلَ إلى هاشم ، وهاشم في دعواه هو المقنَّع ، ويقول بالتناسخ ، وتابَعَهُ خلْقٌ من ضلاَلِ الناس وكانوا يسجدون له من أي النواحي كانوا ، وكانوا يقولون في الحرب : يا هاشم أعنّا ، واجتمعَ إليه خلقٌ كثير وتحصّنوا في قلعةٍ بسيام وسنجردة وهي من رساتيق كش ، وظهرت المبيضة ببخارى والصغد معاونين له ، وأعانه كفَّار الأتراك وأغاروا على أموال المسلمين ، وكان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم ،وكان ينكرُ قَتْلَ يحيى بن زيد وادعى أنه يقتل فاتليه ، واجتمعوا بكش وغلبوا على بعض قصورها وعلى قلعة نواكث وحاربهم أبو النعمان ، والجنيد ،وليثُ بنُ نصر ، مرةً بعد مره ، وقتلوا حسانَ بنَ تميم بن نصر بن سيار ، ومحمد بن نصر ، وغيرهما وأنفذَ إليهم جبزائيل بن يحيى ، وأخاه يزيد ، فاشتغلوا بالمبيضة الذين كانوا ببخارى فقاتلوهم أربعة أشهر في مدينة بومجكت ونقبها عليهم فقُتِلَ منهم سبعمائة وقُتِلَ الحكم ، ولحِقَ منهزموهم بالمقنَّع وتَبِعَهم جبر الخيل وحاربهم ، ثم سير المهدي أبا عون لمحاربةِ المقنَّع فلم يبالغْ في قتاله واستعملَ معادَ بن مسلمٍ .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عزل المهدي إسماعيل عن الكوفة ، واستعمل عليها إسحاقَ بن الصباح الكِنْدي ، ثم الأشعثي ، وقيل : عيسى بن لقمان بن محمد بن حاطب (1)

(ا) في الأصل " محمد بن خاطب " بالخاء المعجمة وهو مصحف وصوابه بالحاء المهملة انظر تقريب التهذيب .

الجمحي .
وفيها عُزِلَ سعيدُ بن دعْلج عن أحداث البصرة ، وعُبيد الله بن الحسن عن
الصلاة ، واستعمل مكانهما عبدَ الملك بن أيوب بن ظبيان النميري ، وأمرَهُ بانصاف من تظلَّم من سعيد بن دعلج ، ثم صرفت الأحداثُ فيها إلى عمارة بن حمزة فولاَّها المسور بن عبد الله الباهلي . وفيها عُزِلَ قثم بن العباس عن اليمامة عن سخطة فَوصَل كتابُ عزْلِهِ ، وقد مات واستعمل مكانه بشر بن المنذر البجلي ، وفيها عُزِلَ الهيثم بن سعيد عن الجزيرة ، واستعمل عليها الفضل بنَ صالح . وفيها أعتقَ المهدي الخيزران أم ولده وتزَوّجها وهي أم الهادي ، والرشيد وتزوج أمَّ عبد الله بنت صالح بن علي أخت الفضل ، وعبد الملك (1) ، وفيها احترقت السفن عند قصر عيسى ببغداد بما فيها واحترقَ ناس كثيرٌ ، وفيها عُزِلَ مطر مولى المنصور عن مصْرَ ، واستعمل عليها أبو ضمرة محمد بن سليمان ، وفيها غزا العباس بن محمد الصائفة الرومية ، وعلى المقدمة الحسن الوصيف ، فبلغوا أنقرة ، وفتحوا مدينةً للروم ومطمورةٍ ، ولم يُصَبْ من المسلمين أحـدٌ ورجعوا سـالمين ، وفيها وُلِّي حمـزة بن يحيى سجستان ، وجبرائيل بن يحيى سَمْرقَنْد فبنى سورَها ، وحفر خندقها .
وفيها عُزِلَ عبدُ الصمد بن علي عن المدينة ، واستعمل عليها محمد بن عبد الله الكُثَيْري ثم عَزَلَهْ ، واستعملَ مكانه محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن (2) بن صفوان الجمحي ، وفيها بنى المهدي سورَ الرصافةِ ومسجدها وحفرَ خندقها .
وفيها توفِي معبدُ بن الخليل بالسند - وهو عامل المهدي عليها - واستعمل مكانه
روحُ بن حاتم أشارَ به أبو عبيد الله وزير المهدي ، وفيها أطلقَ المهدي من كان في حبوس المنصور إلا من كان عنده تبعةٌ من دم أو مالٍ أومَنْ يسعى في الأرض بالفساد ؛ وكان فيمن أطلقَ يعقوب بن داود مولى بني سليم . وفيها توفي حميد بن قحطبة وهو عامل المهدي على خراسان واستعمل المهدي بعده عليها أبا عون عبد الملك بن يزيد .
(1) في الطبري " وعبدالله " .
(2) في الطبري " عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن " .

وحج بالناس هذه السنة يزيدُ بن منصور خال المهدي عند قدومه من اليمن ،
وكان المهدي قد كتب إليه بالقدوم عليه وتوليته الموسم ؛ وكان أمير المدينة عبد الله (ا) بن صفوان الجمحي ، وعلى أحداث الكوفة إسحاق بن الصباح الكندي ، وعلى خراجِها ثابت بن موسى ، وعلى قضائها شريك ، وعلى صلاة البصرة عبد الملك بن أيوب ، وعلى أحداثها عمارة بن حمزة ، وعلى قضائها عبيدالله بن الحسن ، وعلى كور دجلة ، وكور الأهواز ، وكور فارس عمارة بن حمزة ، وعلى السند بسطام بن عمرو ، وعلى اليمن رجاء بن روح ، وعلى اليمامة بشـر بن المنذر ، وعلى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد .
وكان حميد بن قحطبة قد مات فيها فولَّى المهدي أبا عرن ، وكان على الجزيرة الفضل بن صالح ، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم ، وعلى مصر أبو ضمرة محمد بن سليمان .
وفيها كان شَقْنا قد انتشر في نواحي شنت برية فسير إليه عبد الرحمن صاحب الأندلس جيشاً ففارقَ مكانَهُ وصَعِدَ الجبالَ كعادتِهِ فعادَ الجيشُ عنه ، وفيها مات محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب الفقيه بالكوفة وهو مدني وعمره تسع وسبعون سنة ، وفيها توفي عبد العزيز بن أبي رَوّاد مولى المغيرة بن المهلب ، ويونس بن أبي اسحاقَ السبيعي الهمداني ، ومخرمة بن بكير بن عبد الله بن الأشج المصري ، وحسين بن واقد مولى ابن عامر-وكان على قضاء مرو-وكان يشتري الشيء من السوقَ فيحملُه إلى عياله .
(1) في الطبري " عبيد الله " بالتصغير وقد تقدم كذلك .

ثم دخلت سنة ستين ومائة

ذكر خروج يوسف البرم

في هذه السنةِ خرجَ يوسفُ بن إبراهيم المعروف بالبرم ، بخراسان مُنْكراً هو ومن معه على المهدي سيرته التي يسير بها ، واجتمع معه بشر كثير فتوخه إليه يزيد بن مزيد الشيباني - وهو ابن أخي معن بن زائدة ، فلقيه فاقتتلا حتى صارا إلى المعانقة ، فأسره يزيد بن مزيد ، وبعث به إلى المهدي ، وبعث معه وجوه أصحابه ، فلما بلغوا النهروان حُمِل يوسفُ على بعير قد حُول وجهُه إلى ذنبه وأصحابه مثله فأدخلوهم الرصافةَ على تلك الحال وقُطعَتْ يدا يوسف ورجلاًه وقتل هو وأصحابه وصلبوا على الجسر ، وقد قيل : إنَّه كان حرورياً وتغلب على بوشنج وعليها مصعب بن زريق جدُّ.طاهر بن الحسين ، فهرب منه ، وتغلَّب أيضاً على مرو الروذ ، والطالقان ، والجوزجان ، وقد كان من جملة أصحابه أبو معاذ الفريابي فقبض معه .

ذكر خلع عيسى بن موسى ، وبيعة موسى الهادي

كان جماعة من بي هاشم وشيعةُ المهدي قد خاضوا في خلع عيسى بن موسى

من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادي بن المهدي ؛ فلما علم المهدي بذلك سره ، وكتب إلى عيسى بن موسى بالقدوم عليه وهو بقرية الرحبة من أعمال الكوفة ، فأحس عيسى بالذي يراد منه فامتنع من القدوم ، فاستعمل المهدي على الكوفة روحَ بن حاتم للاضرار به ، فلم يجدْ روحُ إلى الأضرار به سبيلا لأنه كان لا يقرب البلد إلَا كل جمعة أو يوم عيد ، وألح المهدي عليه وقال له : إنك إن لم تجبنى إلى أن تنخلع من ولاية العهد لموسى ، وهارون إستحللتُ منك بمعصِيَتكَ ما يستحل من أهل المعاصي ، لان أجبتني عوضْتك منها ما هو أجدى عليك وأعجل نفعاً ، فلم يقدم عليه ، وخيف انتقاضه فوجه إليه المهدي عمه العباس بن محمد برسالة وكتاب يستدعيه فلم يحضر معه ؟ فلما

عاد العباس وجه المهدي إليه أبا هريرة محمد بن فروخ القائد في ألفٍ من أصحابه ذوي البصائر في التشيع للمهدي ، وجعل مع كل واحدٍ منهم طبلاً ، وأمرهم أن يضربوا طبولهم جميعاً عند قدومهم اليه ، فوصلوا سحراً وضربوا طبولهم ، فارتاع عيسى روعاً شديداً ، ودخل عليه أبو هريرة وأمرَهُ بالشخوص معه ، فاعتل بالشكوى فلم يقبلْ منه وأخذه معه ، فلما قَدِمَ عيسى بن موسى نَزِلَ دار محمد بن سليمان في عسكر المهدي ، فأقام أياماً يختلف إلى المهدي ولا يكلِّمُ بشيء ولا يرى مكروهاً ، فحضر الدار يوماً قبل جلوس المهدي فجلس في مقصورة للربيع ، وقد اجتمع شيعة رؤساء المهدي على خلعه فثاروا به – وهو في المقصورة – فاغلق الباب دونهمِ فضربوا الباب بالعمد حتى هشموه وشتموا عيسى أقبح الشتم ، وأظهر المهدي إنكاراً لما فعلوه ، فلم يرجعوا فبقوا في ذلك اياماً إلى أن كاشَفَهُ أكابرُ أهل بيته ، وكان أشدهم عليه محمد بن سليمان ، وألح عليه المهدي فأبى وذَكَرَ أن عليه أيماناً في أهله وماله فاحضر له من القضاة ، والفقهاء عدةً ، منهم محمد بن عبد الله بن علاثة ، ومسلم بن خالد الزنجي فأفتوه بما رأوا ، فأجاب إلى خلع نفسه ، فأعطاه المهدي عشرة آلاف ألف درهم وضياعاً بالزاب ، وكسكر ، وخلعَ نفسَهُ لأربع بقينَ من المحرم وبايع للمهدي ، ولابنه موسى الهادي ، ثم جلس المهدي من الغد ، واحضر أهل بيته وأخذ بيعتهم ، ثم خرج إلى الجامع وعيسى معه فخطب الناس وأعلمهم بخلعِ عيسى والبيعة للهادي ، ودعاهم إلى البيعة فسارع الناس إليها واشْهِدَ على عيسى بالخلع فقال بعض الشعراء :

كـره الموت أبو موسى وقد كـان في الموت نجـاةٌ وكرمُ
خلع الملك وأضحى ملبسـاً ثوب لوم ما ترى منه القدم

(الرُحبْة) بضم الراء قرية عند الكوفة ، و(صبح) بضم الصاد المهملة وكسر
الباء الموحدة .

ذكر فتح مدينة باربد

كان المهدي قدْ سيَّر سنة تسع وخمسين ومائة جيشاً في البحر وعليهم عبد الملك بن شهاب المسمعي إلى بلاد الهند ني جمعٍ كثيرٍ من الجند والمتطوعة ، وفيهم الربيعُ بن صبيح ، فساروا حتى نزلوا على باربد ، فلما نازلوها ، حصَرُوها من نواحيها وحرَّضَ الناس بعضهم بعضاً على الجهاد وضايقوا أهلها ، ففتحها الله عليهم هذه السنة

عنوةً ، واحتمى أهلها بالبد الذي لهم فأحرقه المسلمون عليهم ، فاخترق بعضُهم وقُتِلَ الباقون ؛ واستشهَد من المسلمين بضةٌ وعشرون رجلاً ، وأفاءها الله عليهم ، فهاجَ عليهم البحر ، فأقاموا إلى أن يطيب فأصابهم مرض في أفواههم يقال له : حمام قر فمات منهم نحو من ألف رجل ، فيهم الربيع بن صبيح ثم رجعوا ، فلما بلغوا ساحلاً من فارس يقال له : بحر حمران عصفت بهم الريح ليلا ، فانكسر عامة مراكبهم فغرقَ البعض ونجا البعض ، قيل : وفيها جعل أبان بن صدقة كاتباً لهارون الرشيد ووزيراً له .

وفيها عُزِلَ أبو عون عن خراسان عن سخطة واستعملَ عليها معاذَ بن مسلم ،

وفيها غزا ثمامة بن العبس (1) الصائفة ، وغزا الغمر بن العباس الخثعمي بحر الشام .

ذكر رد نسب آل بكرة وال زياد

وفي هذه السنة أمرَ المهدي بردِّ نسب آل أبي بكرة من ثقيف إلى ولاء رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، وسبب ذلك أن رجلاً منهم رفع في ظُلامته إلى المهدي ، وتقرَّب إليه فيها بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له المهدي : إن هذا نسب ما يقرون به إلا عند الحاجة والاضطرار إلى التقرُب إلينا ، فقال له مَنْ جَحَدَ ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فإنَا سنقرُ وأنا أسألك أن تردني ومعشر آل أبي بكرة إلى نسبنا من ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرَ بآل زياد فيخرجوا من نسبهم الذي ألحِقوا به ، ورغبوا عن قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ويردوا إلى عبيد في موالي ثقيف .

فأمر المهدي برد آل أبي بكرة إلى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب فيه إلى محمد بن موسى بذلك وأن منْ أقرَّ منهم بذلك تركَ ماله بيده ومَنْ أباه اصطفى مالهُ فعرضهم ، فأجابوا جميعاً إلا ثلاثة نفر ؛ وكذلك أيضاً أمر بردّ نسب آل زياد إلى عبيد وأخرجهم من قريش .

فكان الذي حمل المهدي على ذلك مع الذي ذكرناه أن رجلاً من آل زياد قَدِمَ

عليه يُقال له : الصغدي بن سلم بن حرب بن زياد فقال له المهدي : من أنت ؟ فقال :

(ا) في الطبري ثمامة بن الوليد العبسي .

ابن عمكِ فقال : أي بني عمي أنت ؟ فذكر نسبه فقال المهدي : يابن سمية الزانية متى كنت ابن عمي ؟ وغضب وأمرَ به فوجىء في عنقه وأخرج ، وسأل عن استلحاق زياد ، ثم –كتب إلى العامل بالبصرة باخراج آل زيـاد من ديوان قِريش والعرب وردِّهم إلي ثقيف ؛ وكتب في ذلك كتاباً بالغاً يذكر فيه إستلحاق زياد ، ومخالفة حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فاسقطوا من ديوان قريش ، ثم أنهم بعد ذلك رشَوْا العمال حتى ردوهم إلى ما كانوا عليه فقال خالد النجار :

إن زيـاداً ونـافـعـاً وابـا بكرة عندي من أعجب العجب
ذا قـرشى كـمـا يقـول وذا مولى وهذا بـزعمه عـربي

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة توفي عبد الله بن صفوان الجمحي أميرُ المدينة ، واستعملَ عليها
مكانه محمد بن عبد الله الكثيري ثم عُزِلَ واستعمل مكانه زُفر بن عاصم الهلالي ، وجعل على القضاء عبد الله بن محمد بن عمران الطلحي ، وفيها خرج عبد السلام الخارجي بنواحي الموصل ، وفيها عُزِلَ بسطام بن عمرو عن السند واستعمل عليها روح بن حاتم .
وحج بالناس هذه السنة المهدي واستخلف على بغداد ابنه موسى ، وخاله
يزيد بن منصور ، واستصحب معه جماعة من أهل بيته ، وابنه هارون الرشيد ، وكان معه يعقوب بن داود فأتاه بمكة بالحسن بن إبراهيم بن عبد الله العلوي الذي كان استأمن له ، فوصله المهدي وأقطعَهُ ، وفيها نزع المهدي كسوة الكعبة ، وكساها كسوةَ جديدة ، وكان سبب نزعها أن حجبة الكعبة ذكروا له أنهم يخافون على الكعبة أن تتهدَم لكثرة ما عليها من الكسوة فنزعها ، وكانت كسوة هشام بن عبد الملك من الديباج الثخين وما قبلها من عمل اليمن ، وقسم مالاً عظيماً ، وكان معه من العراق ثلاثون ألف ألف درهم ، ووصل اليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار ، ومن اليمن مائتا الف دينار ففرقَ ذلك كله وفرق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ، ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ خمسمائة من الأنصار يكونون حرساً له بالعراق وأقطعهم بالعراق وأجرى عليهم الأرزاقَ ، وحمل إليه محمد بن سليمان الثلج إلى مكة ، وكان أول خليفة حُمِل اليه

الثلج إلى مكة ، وردَّ المهدي على أهل بيته وغيرهم وظائفهم (1).التي كانت مقبوضة عنهم .
وكان على البصرة ، وكور دجلة ، والبحرين ، وعمان ، وكور الأهواز ، وفارس محمد بن سليمان ، وعلى خراسان معاذ بن مسلم ، وباقي الأمصار على ما تقدم ذكره .
وفيها أرسل عبد الرحمن الأموي بالأندلس أبا عثمان عبيد الله بن عثمان ،
وتمام بن علقمة إلى شقنا فحاصراه شهوراً بحصن شيطران وأعياهما أمره فقفلاً عنه ؛ ثم إن شقنا بعد عودهما عنه خرج من شيطران إلى قرية من قرى شنت برية راكباً على بغلته التي تسمى الخلاصة فاغتاله أبو معن ، وأبو خزيم وهما من أصحابه فقتلاًه ولحقا بعبد الرحمن ومعهما رأسه فاستراح الناس من شره . وفيها مات داود بن نصير الطائي الزاهد وكان من أصحاب أبي حنيفة ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود المسعودي ايضاً ، وشعبة بن الحجاج أبو بسطام وكان عمره سبعاً وسبعين سنة(2) ، واسرائيل بن يونس بض أبي إسحاق السبيعي ، وقيل : توفي سنة أربع وستين ؛ وفيها توفي الربيع بن مالك بن أبي عامر عم مالك بن أنس الفقيه كنيته أبو مالك ، وكانوا اربعة إخوة أكبرهم أنس والد مالك ؛ ثم أويس جد اسماعيل بن أويس ، ثم نافع ، ثم الربيع . وفيها توفي خليفة بن خياط العصفري الليثي وهو جد خليفة بن خياط (خياط) بالخاء المعجمة وبالياء المثناة من تحت ، وفيها توفي الخليل بن أحمد البصري الفرهودي النحوي الامام المشهور في النحو استاذ سيبويه .

(1) في الطبري " قطائعهم " .

(2) هو شيخ المحدثين في عصره. وكان يلقب فيهم بأمير المؤمنين . كان في غاية الزهد والورع والتقشف والحفظ وحسن الطريقة ، قال الشافي رحمه الله : لولاه ما عرف الحديث بالعراق.

ثم دخلت سنة احدى وستين ومائة

ذكر هلاك المقنع

في هذه السنة سار معاذ بن مسلم وجماعةٌ من القواد والعساكر إلى المقنع ،
وعلى مقدمته سعيد الحرشي ، وأتاه عقبة بن مسلم من زم فاجتمع به بالطواويس ، وأوقعوا باصحاب المقنع فهزموهم ، فقصد المنهزمون إلى المقنع بسنام فعمل خندقها وحضنها ، وأتاهم معاذ فحاربهم فجرى بينه وبين الحرشي نفرة ، فكتب الحرشي إلى المهدي يقع في معاذ ويضمنُ له الكفاية إنْ افرَده بحربِ المقنع ، فاجابه المهدي إلى ذلك ، فانفرد الحرشي بحربِهِ وأمده معاذ بابنه رجاء في جيش وبكل ما التمسه منه ، وطالَ الحصارُ على المقنع ، فطلب أصحابُه الأمانَ سراً منه فاجابهم الحرشي إلى ذلك فخرج نحو ثلاثين ألفاً وبقي معه زهاء ألفين من أرباب البصائر ، وتحول رجاء بن معاذ وغيرُه فنزلوا خندق المقنع في أصل القلعة وضايقوه ، فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السُم فأتى عليهم وأمر أن يُحرق هو بالنار لئلا يُقدَر على جثته ، وقيل : بل أحرَق كلَّ ما في قلعته من دابة وثوب وغير ذلك ثم قال :مَنْ أحستَ أن يرتفعَ معي إلى السماء فليلقِ نفسه معي في هذه النار ، وألقى بنفسه مع أهله ونسائه وخواصه فاحترقوا ؛ ودخل العسكر القلعة فوجدوها خاليةً خاوية ، وكان ذلك مما زاد في افتتان من بقي من أصحابه ، والذين يسمُّون المبيضة بما وراء النهر من أصحابه إلا أنهم يسرون اعتقادهم ، وقيل : بل شرب هو أيضاً من السم فمات فانفذ الحرشي رأسه إلى المهدي فوصل اليه وهو بحلب سنة ثلاث وستين ومائة في غزواته .

ذكر تغير حال أبي عبيد الله

فى هذه السنة تغيَّرتْ حالُ أبي عبيد الله وزير المهدي ، وقد ذكرنا فيما تقدم سبب اتصاله به أيام المنصور ومسيره معه إلى خراسان ، فحكى الفضل بن الربيع أن الموالي

كانوا يقعون في أبي عبيد الله عند المهدي ويحرضونه عليه .
وكانت كتب أبي عبيد الله ترد على المنصور بما يفعل ويعرضها على الربيع ويكتب الكتبَ إلى المهدي بالوصاية به ، وترك القول فيه .
ثم إن الربيع حج مع المنصور حين مات وفعل في بيعة المهدي ما ذكرناه ؛ فلما
قدم جاء إلى باب أبي عبيد الله قبل المهدي وقبل أن يأتي أهلَه فقال له ابنه الفضل : تترك أميرَ المؤمنين ومنزلَكَ وتأتيه قال : هو صاحب الرجل وينبغي أن نعامله غير ما كنا نعامله به ونترك ذكر نصرتِنا له ؛ فوقف على بابه من المغرب إلى أن صليت العشاء الآخرة ثم أذن له فدخل فلم يقمْ له وكان متكئاً فلم يجلس ولا أقبلَ عليه .
وأراد الربيع أن يذكر له ما كان منه في أمر البيعة فقال : قد بَلَغَنا أمركم فأوغر صدر الربيع ، فلما خرج من عنده قال له ابنه الفضل : لقد بلغ هذا بك ما فعل وكان الرأي أن لا تأتِيَهُ وحيث أتيته ، وحجبك أن تعودَ وحيث دخلت عليه فلم يقمْ لك أن تعود فقال لابنه : أنت أحمقٌ حيث تقول : كان ينبغي أن لا تجيء وحيث جئت وحجبت أن تعودَ ولما دخلت فلم يقم لك كان ينبغي أن تعودَ ولم يكن الصواب إلا ما عملته ، ولكن والله وأكد اليمين لأخلعنَّ جاهي ولأنفقن مالي حتى أبلغَ مكروهه ، وسعى في أمره فلم يجد عليه طريقاً لاحتياطه في أمر دينه وأعماله فأتاه من قِبَل ابنه محمد ، فلم يزل يحتال ويدسُّ إلى المهدي ويتَّهمُه ببعض حرمِهِ وبأنه زنديق حتى استحكمت التهمة عند المهدي بابنه فأمر به فاحضر وأخرج أبوه ثم قال له : يا محمد إقرأ فلم يحسنْ يقرأ شيئاً فقال لأبيه : ألم تعلمني أن ابنك يحفظ القرآن ؟ قال : بلى ولكنه فارقني منذ سنين وقد نسي قال : فقُمْ فتقرَّبَ إلى الله بدمِهِ ، فقام ليقتل ولده ، فعثر فوقع فقال العباس بن محمد : ان رأيتَ أن تعفيَ الشيخ فافعلْ ، فأمر بابنه فضُرِبَتْ عنقه ؛ وقال له الربيع : يا أمير المؤمنين تقتل ابنه وتثق اليه لا ينبغي ذلك فاستوحش منه وكان من أمره ما نذكره .

ذكر عبورالصقلبي إلى الأندلس وقتله

وفي هذه السنة- وقيل : سنة ستين - عبرَ عبد الرحمن بن حبيب الفهري
المعروف بالصقلبي - وإنما سُمي به لطوله وزرقته وشقرته - من افريقية إلى الأندلس محارباً لهم ليدخلوا في الطاعة للدولة العباسية،وكان عبوره في ساحل تدمير.

وكاتب سليمان بن يقظان بالدخول في أمره ومحاربة عبد الرحمن الأموي ، والدعاء إلى طاعة المهدي .
وكان سليمان ببرشلونة - فلم يجبْهُ فاغتاظ عليه ، وقصَدَ بلده فيمن معه من
البربر ، فهزمه سليمان فعاد الصقلبي إلي تدمير ، وسار عبد الرحمن الأموي نحوه في العدد والعدة ، وأحرقَ السفنَ تضييقاً على الصقلبي في الهرب فقصد الصقلبي جبلاً منيعاً بناحية بَلَنْسية ، فبذل الأموي ألف دينار لمن أتاه برأسه ، فاغتاله رجل من البربر فقتله وحمل رأسه إلى عبد الرحمن فأعطاه الف دينار ، وكان قتله سنة اثنتين وستين ومائة .

ذكر عده حوادث

وفيها ظَفِرَ نصر بن محمد بن الأشعث بعبد الله بن مروان بالشام ، فأخذه وقدمَ به على المهدي ، فحبسه في المطبق ، وجاء عمرو بن سهلة الأشعري فادعى أن عبد الله قَتَل أباه وحاكَمَهُ عند عافية القاضي فتوخه الحكم على عبد الله ، فجاء عبد العزيز بن مسلم العقيلي إلى القاضي فقال : زعم عمرو بن سهلة أن عبد الله قتل أباه وكدب ، والله ما قتل أباه غيري أنا ، قتلته بأمر مروان وعبد الله برئ من دمه فترك عبد الله ولم يعرض المهدي لعبد العزيز لأنه قتله بأمر مروان .
وفيها غزا الصائفة ثمامة بن الوليد ، فنزل بدابق وجاشت الروم مع ميخائيل في ثمانين ألفاً فأتى عمق مرعش فقتل وسبى وغنم ، وأتى مرعش فحاصرها فقاتلهم فقتل من المسلمين عدةً كثيرة ، وكان عيسى بن علي مرابطاً بحضن مرعش فانصرف الروم إلى جيحان .
وبلغ الخبرُ المهدى ، فعظم عليه ، لغزو الروم على ما سنذكره سنة اثنتين وستين ومائة فلم يكن للمسلمين صائفة من أجل ذلك.
وفيها أمر المهدي ببناء القصور بطريق مكة ، أوسع من القصور التي بناها السفاح من القادسية إلى زُبالة وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل منها وبتجديد الأميال والبُرك وبحفرِ الركايا وولى ذلك يقطين بن موسى وأمر بالزيادة في مسجد البصرة وتقصير المنابر في البلاَد وجَعْلها بمقدار منبر النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليوم .

وفيها أمر المهدي يعقوب بن داود بتوجيه الأمناء في جميع الآفاق ففعل فكان لا
ينفذ المهدي كتاباً إلى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب إلى أمينه بانفاذِ ذلك ، وفيها غزا الغمر بن العباس في البحر ، وفيها ولّى نصر بن محمد بن الأشعث السند ، ثم عزل بعبد الملك بن شهاب ، فبقي عبد الملك ثمانية عشر يوماً ثم عُزِلَ وأعيدَ نصرُ من الطريق . وفيها استقض المهدي عافية القَاضي مع ابن علاثة بالرصافة ، وفيها عزل الفضلَ بن صالح عن الجزيرة واستعمل عليها عبدَ الصمد بن علي ، واستعمل عيسى بن لقمان على مصر ، ويزيد بن منصور على سواد الكوفة ، وحسان الشروي على الموصل ، وبسطام بن عمرو التغلبي على أذربيجان ، وفيها توفي نصر بن مالك من فالج أصابه وولى المهدي بعده شرطته حمزة بن مالك ، وصَرَفَ أبان بن صدقة عن هارون الرشيد وجعل مع موسى الهادي وجعل مع هارون يحيى بن خالد بن برمك .

وفيها عزل محمد بن سليمان أبو ضمرة عن مصرفي ذي الحجة وَوليهَا سُلمة بن رجاء.

وحج بالناس موسى الهادي وهو وليُّ عهدِ ، وكان عامل مكـة ، والطائف ، واليمامة جعفر بن سليمان ، وعامل اليمن علي بن سليمان ، وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور ، وعلى أحداثها إسحاق بن منصور .

وفيها توفي سفيان الثوري (ا) وكان مولده سنة سبع وتسعين ، وزائدة بن قدامة أبو الصلت الثقفي الكوفي ، وابراهيم بن أدهم بن منصور أبو إسحاق الزاهد وكان مولده ببلخ ، وانتقل إلى الشام فأقام به مرابطاً وهو من بكر بن وائل (2) ذكره أبو حاتم البستي .

(1) هو الإمام الحجة الحافظ أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفي أحد أئمة الإسلام وعبادهم .

(2) كان إبراهيم بن ادهم رضي الله عنه من الأشراف ابناء الملوك .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة

ذكر قتل عبد السلام الخارجي

وفي هذه السنة قُتِلَ عبد السلام بن هاشم اليْشكُري بقنسرين ، وكان قد خرج بالجزيرة فاشتدتْ شوْكَتُهُ وكَثُرَ أتباعه فلقيه عدة من قواد المهدي ، فيهم عيسى بن موسى القائد ، فقتله في عدةٍ ممن معه ، وهَزَمَ جماعةً من القوادِ ، فيهم شبيب بن واج المروروذي ، فندب المهدي إلى شبيب الف فارس وأعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة فوافَوْا شبيباً ، فخرج بهم في طلب عبد السلام فهرَبَ منه فأدَركه بقنسرين فقاتله فَقَتَلَه بها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وَضَع المهدي ديوانَ الأزمةِ(ا) ، ووَليَ عليها عمرو بن مربع (2)

مولاه ، وأجرى المهدي على المجذمين وأهل السجون الأرزاق في جميع الآفاقَ. وفيها خرجت الروم إلى الحدث (3) فهدموا سورَها ؛ وغزا الصائفة الحسنُ بن قحطبة في ثمانين ألف مرتزق سوى المتطوعة فبلغ حمة (4) أذرولية واكثرَ التحريق والتخريب في بلاد الروم ولم يفتح حصناً ولا لقي جمعاً ، وسمته الروم التنين وقالوا : إنما أتى الحمة ليغتسلَ من مائها للوضح (5) الذي به ،ورجع الناس سالمين ، وفيها غزا

(1) في الطبري " دواوين الأزمة " بالجمع وكذلك في النجوم الزاهرة ، ومعنى دواوين الأزمة أن يكون لكل ديوان زمام وهو رجل يضبطه ولم يكن لبني امية ذلك بل كانت الدواوين قبل ذلك مختلطة ، وهذا العمل ينفي الخلل الواقع في الحساب .

(2) في الطبري " عمر بن بزيع " .

(3) الحدث - بفتحات - مدينه صغيرة عامرة وهي ثغر من ثغور الشام بينها وبين انطاكية ثمانية وسبعون ميلا .

(4)الحمة عين فيها ماء حار.

(5) الوضح -بفتحات -يكنى به عن البرص.

يزيد بن أسيد السلمي من ناحية قاليقلا فغنم وافتتح ثلاثة حصون وسبى ، وفيها عُزل علي بن سليمان عن اليمن واستعمل مكانه عبد الله بن سليمان ، وعُزِلَ سلمة بن رجاء من مصر وَوِلِيَهَا عيسى بن لقمان في المحرم ، وعُزِلَ عنها في جمادى الآخرة وَوليَها واضح مولى المهدي ، ثم عُزل في ذي القعدة ووليها يحيى الحرشي.
وفيها خرجت المحمرة بجرجان عليهم رجل اسمه عبد القفار ، فغلب عليها
وقتلَ بشراً كثيراً فغزاه عمر بن العلاَّء من طبرستان فقتله عمر وأصحابه ، وكان العمال مَنْ تقدم ذكرهم ، فكانت الجزيرة مع عبد الصمد بن علي ، وطبرستان ، والرويان مع سعيد بن دعلج ، وجرجان مع مهلهل بن صفوان . وفيها أرسل عبد الرحمن صاحب الأندلس شهيد بن عيسى إلى دحية الغساني وكان عاصياً في بعض حصون البيرة فقتله ، وسير بدراً مولاه إلى إبراهيم بن شجرة البرلسي ، وكان قد عَصِيَ فقتله ، وسيَّر أيضاً ثمامة بن علقمة إلى العباس البربري - وهو في جمع من البربر ، وقد أظهر العصيان فقتله أيضاً وفرق جموعه ، وفيها سيَّر جيشاً مع حبيب بن عبد الملك القرشي إلى القائد السلمي .
وكان حسن المنزلة عند عبد الرحمن أمير الأندلس فشرب ليلة وقصد باب القنطرة ليفتحه على سُكْرٍ منه فمنعه الحرس فعاد، فلما صحا خاف فهرب إلى طليطلة فاجتمع اليه كثير ممن يريد الخلاَف والشر فعاجله عبد الرحمن بإنفاذ الجيوش اليه فنازله في موضع قد تحصن فيه وحصره.
ثم ان السلمي طلب البراز فبرز إليه مملوك أسود فاختلفا ضربتين فوقعا صريعين ثم ماتا جميعاً .
وفيها توفي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم فاضي افريقية وقد جاوز تسعين سنة(1) ، وسبب موته أنه أكل عند يزيد بن حاتم سمكاً ثم شرب لبناً وكان يحيى بن ماسويه -الطبيب حاضراً فقال : إن كان الطب صحيحاً(2)مات الشيخ الليلة فتوفي من ليلته تلك والله أعلم .
(ا) ذكره المؤلف أيضاً فيمن مات سنة سبع وخمسين ومائة.
(2) يشير إلى قولهم "لا تأكل السمك وتشرب اللبن" .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة
ذكر غزو الروم
في هذه السنة تَجهزَ المهدي لغزو الروم ، فخرج وعَسْكَر بالبردان (ا) وجَمَعَ الأجنادَ من خراسان وغيرها وسار عنها ، وكان قد توفي عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس (2) في جمادى الآخرة ، وسار المهدي من الغد واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي ، واستصحب معه ابنه هارون الرشيد ، وسار على الموصل ، والجزيرة وعَزَلَ عنها عبد الصمد بن علي في مسيره ذلك ؛ ولفَا حاذى قصر مسلمة بن عبد الملك قال العباس بن محمد بن علي المهدي : ان لمسلمة في أعناقنا منةً ، كان محمد بن علي مر به فأعطاه أربعة آلاف دينار وقال له : إذا نفذْتَ فلا تحتشمنا .
فاحضر المهدي وُلْدَ مسلمة ومواليه ، وأمر لهم بعشرين ألف دينار وأجرى عليهم ا الأرزاقَ ، وعبر الفرات إلى حلب وأرسل - وهو بحلب - فجمع مَنْ بتلك الناحية من الزنادقة فجمعوا فقتلهم وقطع كتبهم بالسكاكين ، وسارَ عنها مشيعاً لابنه هارون الرشيد حتى جاز الدرب وبلغ جيحان ، فسار هارون ومعه عيسى بن موسى ، وعبد الملك بن صالح ، والربيع ، والحسن بن قحطبة ، والحسن ، وسليمان بن برمك ويحيى بن خالد بن برمك - وكان إليه أمر العسكر والنفقات والكتابة وغير ذلك فساروا فنزلوا على حصن سمالو فحصره هارون ثمانية وثلاثين يوماً ونصب عليه المجانيق ففَتحَه الله عليهم بالأمان ووفى لهم وفتحوا فتوحاً كثيرة .
ولما عاد المهدي من الغزاة ، زار بيت المقدس ومعه يزيد بن منصور ،
(1) البردان بفتح الباء الموحدة والراء نهر بطرسوس .
(2) واليه ينسب قصر عيس ونهر عيسى ببغداد . قال يحيى بن معين : كان له مذهب جميل ، وكان معتزلاً للسلطان .

والعباس بن محمد بن علي ، والفضل بن صالح بن علي ، وعلي بن سليمان بن علي ؛ وقفل المسلمون سالمين إلا من قُتِلَ منهم ، وعَزَل المهدي إبراهيم بن صالح عن فلسطين ثم رده .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ولَّى المهدي ابنه هارون المغربَ كله ، وأذربيجان ، وأرمينية ،
وجعلَ كاتبه على الجراج ثابت بن موسى ، وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك .
وفيها عَزَلَ زفر بن عاصم عن الجزيرة ، واستعمل عليها عبد الله بن صالح ، وفيها عَزَلَ المهدي معاذ بن مسلم عن خراسان ، واستعمل عليها المسيبَ بن زهير الضبي ، وعزل يحيى الحرشي عن أصبهان ، ووَلّى مكانه الحكم بن سعيد ، وعَزَلَ سعيد بن دعلج عن طبرستان ، والرويان وولاهما عمر بن العلاء .
وعُزل مهلهل بن صفوان عن جرجان وولاها هشام بن سعيد ؛ وكان على مكة والمدينة ، والطائف ، واليمامة جعفر بن سليمان ، وكان على الكـوفة إسحاق بن الصباح ، وعلى البصرة ، وفارس ، والبحرين ، والأهواز محمد بن سليمان ، وعلى السند نصر بن محمد بن الأشعث ، وعلى الموصل محمد بن الفضل .
وحجَّ بالناس هذه السنة علي بن المهدي ؛ وفيها أظهر عبد الرحمن الأموي صاحبُ الأندلس التجهُّز للخروجِ إلى الشام بزعمِهِ لمحو الدولة العباسية وأخذ ثأره منهم ، فعصى عليه سليمان بن يقظان ، والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الأنصاري بسرقسطة واشتد أمرُهما فترك ما كان عزم عليه ، وفيها مات موسى بن علي بن رباح اللخمي .
(عُلي) بضم العين مصغراً ، و (رَباح) بالباء الموحدة ، وفيها مات إبراهيم بن طهمان وكان عالماً فاضلًا وكان مرجئاً من أهل نيسابور ومات بمكة .
وفيها توفي أبو الأشهب جعفر بن حيان بالبصرة ، وفيها توفي بكار بن شريح
قاضي الموصل بها وكان فاضلاً ، وولي القضاء بها أبو مكرز الفهري واسمه يحيى بن عبد الله بن كرز .

في هذه السنة غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحدث ، فأتاه ميخائيل البطريق وطازاذ الأرمني البطريق في تسعين ألفاً ، فخاف عبد الكبير ، ومنع الناس من القتال ، ورجع بهم ، فأراد المهدي قَتْله ، فشفع فيه فحبسه .
وفيها عزل المهدي محمد بن سليمان عن البصرة وسائرِ أعمالِهِ ،،استعمل صالح بن داود مكانه ؛ وفيها سار المهدي ليحجَّ فلما بلغ العقبَة ورأى قلة الماء خاف أن الماء لا يحمل الناس ، وأخذته أيضاً حمى فرجع وسير أخاه صالحاً ليحج بالناس ؛ ولحق الناس عطشٌ شديدٌ حتى كادوا يهلكون ؛ وغضب المهدي على يقطين لأنه صاحب المصانع؛ وفيها عزل عبد الله بن سليمان عن اليمن عن سخطة ووجه مَنْ يستقبله ويفتش متاعه ويحصي ما معه واستعمل على اليمن منصور بن يزيد بن منصور ، وعلى افريقية يزيد بن حاتم ، وكان العمال من تقدم ذكرهم ، وعلى الموصل محمد بن الفضل ، وفيها سار عبد الرحمن الأموي إلى سرقسطة بعد أن كان قد سير إليها ثعلبة بن عبيد في عسْكَر كثيف ، وكان سليمان بن يقظان ، والحسين بن يحيى قد اجتمعا على خلع طاعة عبد الرحمن كما ذكرنا وهما بها ، فقاتلهما ثعلبة قتالاً شديداً ، وفي بعض الأيام عاد إلى مخيمِهِ فاغتنم سليمان غرته فخرج اليه وقبض عليه ، وأخذه وتفرقَ عسكره ، واستدعى سليمان فار له ملك الأفرنج ، ووعده بتسليم البلد وثعلبة إليه ، فلما وصل إليه لم يصح بيده غير ثعلبة فأخذه وعاد إلى بلاده وهو يظن أنه يأخذ به عظيم الفداء ، فأهمله عبد الرحمن مدة ، ثم وضع مَنْ طلبه من الفرنج فأطلقوه .
فلما كان هذه السنة سار عبد الرحمن إلى سرقسطة وفرق أولاده في الجهات

ليدفعوا كل مخالف ثم يجتمعون بسرقسطة فسبقهم عبد الرحمن إليها؛ وكان الحسين بن يحيى قد قتل سليمان بن يقظان وانفرد بسرقسطة فوافاه عبد الرحمن على أثر ذلك فضيق على أهلها تضييقاً شديداً ، وأتاه أولاده من النواحي ومعهم كل من كان خالفهم وأخبروه عن طاعة غيرهم ، فرغب الحسين في الصلح ، وأذعن للطاعة فاجابه عبد الرحمن وصالحه ، وأخذ ابنه سعيداً رهينة ، ورجع عنه وغزا بلاَد الفرنج فدوخها ونهب وسبى وبلغ قلهرة(ا) وفتح مدينة فكيرة وهدم قلاع تلك الناحية ، وسار إلى بلاد البشكنس ونـزل على حصن مثمين الأقرع فـافتتحه ، ثم تقـدم إلى ملدوثـون بن اطلال ، وحصر قلعته وقصد الناس جبلها وقاتلوهم فيها ، فملكوها عنوة وخرَّبها ثم رجع إلى قرطبة .

وفيها ثارت فتنة بين بربر بلنسية وبربرشنت برية من الأندلس وجرى بينهم حروب كثيرة قُتِلَ فيها خلق كثيرٌ من الطائفتين وكانت وقائعهم مشهورة .

وفيها ماتَ شيبان بن عبد الرحمن أبو معاوية التميمي النحوي البصري ،وعبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور ، وقيل : مات سنة ثلاث وستين وكان عمره ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل : ثمانين سنة ، وسعيد بن عبد العزيز الدمشقي ، وسلاَم بن مسكين النمري الأزدي أبو روح ، والمبارك بن فضالة بن أبي أمية القرشي مولى عمر بن الخطاب .

(ا) بفتح أوله وثانيه وشم الهاء وتشديد الراء وفتحها مدينة من أعمال تطيلة في شرقي الاندلس .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة
ذكر غزو الروم
في هذه السنة سير المهدي ابنَه الرشيد لغزو الروم صائفة في جمادى الآخرة في خمسة وتسعين ألفاً وتسعمائة(1) وثلاثة وتسعين رجلاً ومعه الربيع ، فأوغل هارون في بلاَد الروم ، ولَقِيَهُ عسْكَرُ نقيظا قومس القوامسة ، فبارزه يزيد بن مزيد الشيباني فأثخنه يزيد وانهزمت الروم ، وغَلَبَ يزيد على عسكرهم ؛ وساروا إلى الدمستق – وهو صاحب المسالح – فحمل لهم مائة ألف دينار وثلاثة(2)وتسعين ألفاً وأربعمائة وخمسين ديناراً ، ومن الورقَ واحداً وعشرين ألف ألف درهم (3) وأربعة عشر ألف وثمانمائة درهم؛ وسار الرشيد حتى بلغ خليج القسطنطينية .
وصاحب الروم يومئذ أغطسة(4) امرأة أليون وذلك ان ابنها كان صغيراً قد هلك
أبوه وهو في حجرها - فجرى الصلح بينها وبين الرشيد على الفِدية وأن تقيم له الأدلاء والأسواقَ في الطريق ، وذلك أنه دخل مدخلاً ضيقاً مخوفاً فأجابته إلى ذلك ، ومقدار الفدية سبعون ألف دينار كل سنة ورجع عنها ، وكانت الهدنة ثلاَث سنين ، وكان مقدار ما غنم المسلمون إلى أن اصطلحوا خمسة آلاف رأس سبي وستمائة وثلاثة وأربعين رأساً ، ومن الدواب الذلل بأدواتها عشرين ألف رأس ، وذُبح من البقر ، والغنم مائة ألف رأس (5). وقُتِلَ من الروم في الوقائع أربعة وخمسون ألفاً . وقُتِل من الأسارى
(1) في الطبري " وسبعمائة " .
(2) في الطبري " وأربعة " .
(3) في الطبري " ومن الورقَ أحداً وعشرين ألف ألف وأربعمائة ألف " .
(4)في نسخة"غطسة".
(5) قال ابن جرير الطبري " وبيع البرذون بدرهم والبغل بأقل من عشرة دراهم والدرع بأقل من درهم وعشرين سيفاً بدرهم ".

صبراً ألفان وتسعون أسيراً.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عُزِلَ خَلَفُ بن عبد الله عن الري ووَليهَا عيسى مولى جعفر ؛ وحجَ بالناس هذه السنة صالح بن المنصور ، وكان العمال مَنْ تقدم ذكرهم غير ان البصرة كان على احداثها والصلاة بها روح بن حاتم ، وكان على كور دجلة ، والبحرين ، وعمان ، وكسكر ، والأهواز ، وفارس ، وكرمان المعلى(1) مولى المهدي ، وكان على الموصل احمد بن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس .

وفيها غدر الحسين بن يحيى بسرقسطة ،فنكث مع عبد الرحمن فسيَّر اليه

عبد الرحمن غالب بن ثمامة بن علقمة في جند كثيف فاقتتلوا فأسَرَ جماعة من اصحاب الحسين فيهم ابنه يحيى فسيرهم إلى الأمير عبد الرحمن فقتلهم وأقام ثمامة بن علقمة على الحسين يحصرُهُ ، ثم ان الأمير عبد الرحمن سار سنة ست وستين ومائة إلى سرقسطة بنفسه فحصرها وضايقها ونصب عليها المجانيق ستة وثلاثين منجنيقاً فملكها عنوة وقتل الحسين اقبح قتلة ، ونفى أهل سرقسطة منها ليمين تقدمت منه ، ثم ردهم اليها ، وفيها مات يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد بن شهر بن مثوب وهو من ولد شهر ذي الجناح الحميري خال المهدي ، وقد كان وَبيَ اليمن ، والبصرة ،لا والحج . وفيها توفي فَتْحُ بن الوشاح الموصلي الزاهد .

(ا) في نسخة " النعمان ، وهو تحريف .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

في هذه السنة أخذ المهدي البيعة لولده هارون الرشيد بولاية العهد بعد
أخيه موسى الهادي ولقبه الرشيد. وفيها عزل عبيد الله بن الحسن العنبري عن قضاء البصرة واستقضى خالد بن طليق بن عمران بن حصين فاستعفى اهل البصرة منه .

ذكر القبض على يعقوب بن داود

وفي هذه السنة سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود بن طهمان ، وكان أول أمرهم أن داود بن طهمان – وهو أبو يعقوب -جمان يكتب لنصر بن سيار هو واخوته ، فلما كان أيام يحيى بن زيد كان داود يعلمه ، ما يسمعه من نصر ، فلما طلب أبو مسلم الخراساني بدم يحيى بن زيد ، أتاه داود لما كان بينه وبين يحيى فأمنه أبو مسلم في نفسه ، وأخذ ماله الذي استفاد أيام نصر .
فلما مات داود خرج أولاده أهل أدب وعلم بأيام الناس وسيرِهم وأشعارهم ؛
ولم يكن لهم عند بني العباس منزلة ، فلم يطمعوا في خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر ، واظهروا مقالة الزيدية ودنوا من آل الحسين ، وطمعوا أن تكون لهم دولة . فكان داود يصحب إبراهيم بن عبد الله بن الحسن أحياناً ،ويخرج معه هو وعدة من إخوته ، فلما قُتل إبراهيم ، طلبهم المنصور فاخذ يعقوب ، وعلياً وحبسهما . فلما توفي المنصور أطلقهما المهدي مع منْ أطلقه ، وكان معهما الحسن بن إبراهيم ، فاتصل إلى المهدي بسببه كما تقدم ذكره ، وقيل : اتصل به بالسعاية بآل علي ، ولم يزل أمره يرتفع حتى استوزره .

وكان المهدي يقول : وصف لي يعقوب في منامي فقيل لي : استوزره فلما رأيته
رأيت الخلقة التي وصفت لي فاتخذته وزيراً ، فلما وَبيَ الوزارة أرسل إلى الزيدية فجمعهم وولاهم الخلافة في المشرق والمغرب ،ولذلك قال بشار بن برد :

بني أمية هبوا طالَ نومُكم إن الخليفة يعقوبَ بن داود
ضاعتْ خلافتكم يا قوم فالتمسوا(1) خليفة الله بين الناي (2) والعود

فحسده موالي المهدي وسعوا به ، وقيل له : إن الشرقَ والغرب في يد يعقوب وأصحابه ، وإنما يكفيه أن يكتبَ إليهم ، فيثوروا في يوم واحد فيأخذوا الدنيا لاسحاق بن الفضل ، فملأ ذلك قلب المهدي .
ولما بنى المهدي عيسا باذ ،أتاه خادم من خدمه فقال له : إن أحمد بن إسماعيل بن علي قال لي : أبنى متنزهاً أنفقَ عليه خمسين ألف ألف من بيت المال ، فحفظها المهدي ونسيَ أحمد بن اسماعيل ، وظنَّ أن يعقوب قالها .
فبينما يعقوب بين يديه إذ لببه ، فضرب به الأرض وقال : ألست القائل (3) كيت وكيت ؟ فقال : والله ما قلته ولا سمعته قال : وكان السعاة يسعون بيعقوب ليلاً ويتفرقون وهم يعتقدون أنه يقبضه بكرة ، فاذا أصبح غدا عليه فإذا نظر إليه تبسم وسأله عن مبيته . وكان المهدي مستهتراً بالنساء فيخوض يعقوب معه في ذلك فيفترقان عن رضا .
ثم إنه كان ليعقوب برذون كان يركبه فخرج يوماً من عند المهدي وعليه طيلسان يتقعقع من كثرة دقه ، والبرذون مع الغلام وقد نام الغلاَم فركب يعقوب ، وأراد تسوية الطيلسان ، فنفر من قعقعته ، فسقط ، فدنا من دابته فرفسه ، فانكسر ساقه ، فانقطع عن الركوب .
فعاده المهدي من الغد ثم انقطع عنه فتمكن السعاة منه ، فاظهر المهدي السخط
عليه ثم أمر به فسجن في سجن نصر وأخذ عماله وأصحابه فحبسوا .
(ا) في الطبري " فاطلبوا " .
(2) في الطبري " بين الدف " .
(3) في الطبري " فقال : مالي ولك يا أمير المؤمنين قال : ألست القائل " الخ .

وقال يعقوب بن داود : بعث الي المهدي يوماً فدخلت عليه وهو في مجلس مفروش بفرش مورد على بستان فيه شجر ورؤوس الشجر مع صحن المجلس ، وقد اكتسى ذلك الشجر بالأزهار من الخوخ والتفاح ؛ فما رأيت شيئاً أحسن منه ، وعنده جارية عليها نحو ذلك الفرش ما رأيت أحسن منها فقال لي : يا يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قلت :على غاية الحسن فمتع الله أمير المؤمنين به قال : هو لك بما فيه وهذه الجارية ليتم سرورك به قال : فدعوت له ،ثم قال لي : يا يعقوبُ وبي اليك حاجة أحبُّ أن تضمن لي قضاءها قلت : الأمر لأمير المؤمنين وعلي السمعُ والطاعة ، فاستحلفني بالله وبرأسه فحلفت لأعملن بما قال فقال : هذا فلان بن فلاَن من ولدِ عليِ بن أبي طالب ، وأحب أن تكفيني مؤنته ، وتريحني منه ، وتعجل ذلك ، قلت : أفعل فأخذته ، وأخذت الجارية وجميع ما في المجلس وأمر لي بمائة الف درهم ، فلشدة سروري بالجارية صيَّرتها في مجلس ، بيني وبينها ستر ، وادخلت العلوي إلف وسألته عن حاله فأخبرني ، وإذا هو أعقل الناس وأحسنهم إبانةً عن نفسه ، ثم قال : ويحك يا يعقوب تلقى الله بدمي وأنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قلت :لا والله فهل فيك أنت خير؟ قال : إن فعلت خيراً شكرت ولك عندي دعاء واستغفار فقلت : أي الطريق (1) أحبُّ إليك ؟ قال : كذا وكذا فأرسلت إلى من يثق إليه العلوي فأخذه وأعطيته مالاً وأرسلت الجارية إلى المهدي تُعْلِمُهُ الحال ؛ فأرسل إلى الطريق فأخذ العلوي وصاحبه والمال .

فلما كان الغد استحضرني المهدي وسألني عن العلوي فأخبرته أني قتلته فاستحلفني بالله وبرأسه فحلفت له فقال : يا غلام اخرج إلينا ما في هذا البيت ؛ فأخرج العلوي وصاحبه والمال فبقيت متحيراً وامتنع مني الكلاَم فما أدري ما أقول ، فقال المهدي : قد حل لي دمك ولكن احبسوه في المطبق ولا أذكر به فحبست في المطبق واتخذ لي فيه بئر فدليت فيها ، فبقيت مدة لا أعرف عددها وأصبت ببصري وطال شعري حتى استرسل كهيئة البهائم قال : فإني لكذلك إذ دُعِيَ بي وقيل لي : سئم على أمير المؤمنين ، فسلمت قال : أي أمير المؤمنين أنا؟ قلت : المهدي قال : رحم الله المهدي قلت : فالهادي قال : رحم الله الهادي قلت : فالرشيد قال : نعم سل حاجتك

(1) في الطبري " أي الطرقَ " بالجمع وهي أوضح .

قلت : المقام بمكة فما بقي فيَّ مستمتع لشيء (ا) ولا بلاَّغ فاذن لي فسرت إلى مكة قال : فلم تطل أيامه بها حتى مات .
وكان يعقوب قد ضجر بموضعه قبل حبسه ؛ وكان أصحاب المهدي يشربون
عنده فكان يعقوب ينهاه عن ذلك ويعظه ويقول : ليس على هذا استوزرتني ولا عليه صحبتك بعد الصلوات الخمس (2) في المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ، فضيّق على المهدي حتى قيل :

فدعْ عنك يعقوب بن داود جانباً وأقبل على صهباءَ طيبـةِ النشر

وقال يعقوب يوماً للمهدي قي أمر أراده : هذا والله السرف فقال المهدي : وبحك يا يعقوب إنما يحسن السرف بأهل الشرف ولولا السرف لم يعرف المكثرون من المقلين (3).

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة سار المهدي إلى جرجان ، وجعل على قضائه أبا يوسف ، يعقوب بن إبراهيم . وفيها أمر المهدي بإقامة البريد بين مكة ، والمدينة ، واليمن ، ببغال وإبل ولم يكن هنالك بريد قبل ذلك ؛ وفيها اضطربت خراسان على المسيب بن زهير ، فولاَّها الفضل بن سليمان الطوسي أبا العباس ، وأضاف اليه سجستان ، فاستخلف على سجستان تميم بن سعيد بن دعلج بأمر المهدي . وفيها أخذ المهدي داود بن روح بن حاتم ، وإسماعيل بن مجالد ، ومحمد بن أبي أيـوب المكي ، ومحمد بن طيفور في الزندقة فاستتابهم ، وخلّى سبيلهم ، وبعث داود إلى أبيه وهو على البصرة وأمره بتأديبه . وفيها استعمل إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله على المدينة ، وكان على مكـة ، والطائف عبيد الله بن قثم ، وفيها غزِلَ منصور بن يزيد بن منصور عن اليمن ، واستعمل مكانه عبد الله بن سليمان الربعي ، وفيها أطلق المهدي عبد الصمد بن علي من حبسه . وحج بالناس إبراهيم بن يحيى .

(ا) في الطبري " ما بقي في مستمع لشيء " .
(2) في الطبري " أبعد الصلوات ؟ " .
(3) فمن الطبري " من المقترين " .

وكان على الكوفة هاشم بن سعيد ؛ وعلى-البصرة روح بن حاتم ؛ وعلى قضائها خالد بن طليق؛ وعلى كور دجلة ، وكسكر ، واعمال البصرة ، والبحـرين ، والاهواز ،وفارس ،وكرمان المعلي مولى المهدي ، وعلى مصر إبراهيم بن صالح ، وعلى افريقية يزيد بن حاتم ، وعلى طبرستان ، والرويان ، وجرجان يحيى الحرشي ، وعلى دنباوند، وقومس فراشة مولى المهدي ، وعلى الري سعد مولاه ، وعلى الموصل أحمد بن اسماعيل الهاشمي ، وقيل : موسى بن كعب الخثعمي ، وعلى قضائها علي بن مسهر بن عمير، ولم يكن فيٍ هذه السنة صائفة للهدنة التي كانت فيها. وفيها قتل بشار بن برد الشاعر الأعمى على الزندقة؛ وكان خلق ممسوح العينين . وفيها توفي الجراح بن مليح الرؤاسي ، وهو والد وكيع ؛ وفيها توفي المبارك بن فضالة ، وحماد بن سلمة البصري ، وفيها قتل عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية بن هشام؛ وهذيل بن الصميل ، وسمرة بن جبلة لأنهم اجتمعوا على خلعه مع العلاء بن حميد القشيري فتقرب بهم .

في هذه السنة سار موسى الهادي إلى جرجان في جمع كثيف وجهاز لم يتجهز
أحذ بمثله لمحاربة ونداد هرمز(1) وشروين -صاحبيْ طبرستان .
وجعل المهدي على رسائل موسى ابان بن صدقة ، ومحمد بن جميل على
جنده ، ونفيعاً مولى المنصور على حجابته ،وعلي بن عيسى بن ماهان على حرسه ، فسير الهادي الجنود إليهما وأمر عليهم يزيد بن مزيد فحاصرهما ، وفيها توفي عيسى بن مرسى بالكوفة ؛ فاشهد روح بن حاتم علي وفاته القاضي ، وجماعة من الوجوه ودُفِنَ وكان عمره خمساً وستين سنة ، ومدة ولايته العهد ثلاثاً وعشرين سنة ، وقد لَقدم ذكر ولايته العهد وعزله عنه . وفيها جذ المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الأفاقَ وقتلهم؛ فأخذ يزيد بن الفيض فاتر فحبس فهرب فلم يقدر عليه؛ وكان المتولي لأمر الزنادقة الكلوذاني (2) . وفيها عَزَلَ المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع ، وفيها كان الوباء ببغداد ، والبصرة ، وفشا في الناس سعال شديد، وفيها توفي أبان بن صدقه كاتب الهادي ، فوجه المهدي مكانه أبا خالد الأحول ، وفيها أمر المهدي بالزيادة في المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت فيه دور كثيرة ؛ وكان المتولي لبنائه ، شطين بن موسى فبقي البناء فيه إلى أن توفي المهدي ؛ وكذلك أمر بالزيادة في المسجد الجامع بالموصل ، ورأيت لوحاً فيه ذكر ذلك وهو في حائط الجامع سنة ثلاث وستمائة وهو باقَ ، وفيها عزل يحص الحرشي عن

(1) في الطبري " ونداهرمز " بحذف الدال الثانية .

(2) في الطبري " عمر الكلواذي " وفي النجوم الزاهرة " الكلواذاني " بزيادة الف بعد الواو وقال في الهامش والكلواذاني نسبة إلى كلواذي بالقصر وهي ترية من ترى بغداد على بعد فرسخين منها .

طبرستان ، والرويان وما كان إليه ووليه عمر بن العلاء ، ووَليَ جرجان فراشة مولى المهدي ، وفيها أظلمت الدنيا لثلاث مَضيْنَ من ذي الحجة حتى تعالى النهار ، ولم يكن صائفة للهدنة ، التي كانت بين المسلمين والروم .
وحجَّ بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو
على المدينة ؛ ثم توفي بعد فراغه من الحج بأيام وتولّى مكانه إسحاقَ بن عيسى بن علي . وفيها طعن عقبة بن سلم الهنائي ، اغتاله رجل بخنجر فمات ببغداد .
وكان على اليمن سليمان بن يزيد الحارثي، وعلى اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيري ، وكان على البصرة محمد بن سليمان ، وعلى قضائها عمر بن عثمان التيمي ، وعلى الموصل أحمد بن إسماعيل الهاشمي ، وقيل : موسى بن كعب ، وباقي الأمصار كما تقدم ، وفي هذه السنة توفي جعفر الأحمر أبو شيبة ، والحسن بن صالح بن حبي ، وكان شيعياً عابداً ، وسعيد بن عبد الله بن عامر التنوخي ، وحماد بن سلمة(ا) ، وعبد العزيز بن مسلم . وفيها أفسد العرب في بادية البصرة بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطريق وانتهكوا المحارم وتركوا الصلاة فارسل المهدي إليهم جيشاً فقاتلهم واشتدَّ القتال ، وصبر العرب فظفروا وقتلوا عامة العسكر المنفذ إليهم فقويت شوكتهم وزاد شرُهم. "
(1)كان من أهل البصرة وهو ابن أخت حميد الطويل كان ثقة عالماً زاهداً صالحا كبير الشأن .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة .

في هذه السنة في رمضـان نقض الروم الصلح ، الـذي كان بينهم وبين المسلمين ، وكان من أوله إلى أن نقضوه اثنان وثلاثون شهراً ، فوجه علي بن سليمان - وهو على الجزيرة ، وقنسرين يزيد بن البدر البطال في خيل فغنموا وظفروا .

ذكر الخوارج بالموصل

وفيها خرج بأرض الموصل خارجى اسمه ياسين من بني تميم ، فخرج إليه
عسكر الموصل ، فهزمهم وغلب على أكثر ديار ربيعة ، والجزيرة - وكان يميل إلى مقالة صالح بن مسرح الخارجي .
فوجه إِليه المهدي أبا هريرة محمد بن فروخ القائد، وهرثمة بن أعين مولى بني
ضبة فحارباه ، فصبر لهما حتى قتِلَ وعدة من أصحابه وانهزمَ الباقون .

ذكر مخالفة أبي الأسود بالأندلس

في هذه السنة ثارَ أبو الأسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالأندلس ؛ وكان من حديثه انه كان في سجن عبد الرحمن بقرطبة من حين هرب أبوه وقُتلَ أخوه عبد الرحمن على ما تقدَّم ، وحُبِسَ أبو الأسود وتعامى في الحبس ، فصار يحاكي العميان ولا يطرف عينه لشيء ، وبقي دهراً طويلاً حتى صح عند الأمير عبد الرحمن الأموي ذلك .
وكان في أقص السجن سرداب يفضي إلى النهر الأعظم يخرج منه المسجونون فيقضون حوائجهم من غسل وغيره ، وكان الموكلون يهملون أبا الأسود لعماه فإذا رجع من النهر يقول : من يدل الأعمى على موضعه ، وكان مولى له يحادثه على شاطىء النهر ولا ينكر عليه ، فواعده أن يأتيه بخيْل يحمله عليها، فخرج يوماً ومولاه ينتظره ، فعبر

النهر سباحة ، وركب الخيل ، ولحق بطليطلة فاجتمع له خلق كثير، فرجع بهم إلى قتال عبد الرحمن الأموي ، فالتقيا على الوادي الأحمر بقسطلونة ، واشتد القتال ثم انهزم أبو الأسود وقُتِلَ من أصحابه أربعة آلاف سوى من تردى في النهر واتبعه الأموي يقتل من لحق حتى جاوز قلعة الرباح ، ثم جمع إلى قتال الأموي في سنة تسع وستين؛ فلما أحس بمقدمة الأموي انهزم أصحابه وهو معهم فأخذ عياله وقُتل أكثرُ رجاله ، وبقي إلى سنة سبعين فهلك بقرية من أعمال طليطلة ، وقام بعده أخوه قاسم وجمع جمعاً فغزاه الأمير فجاء إليه بغير أمان فقتله .

ذكر عدة حوادث

وفيها هلكَ شيلون ملك جليقية فولوا مكانه اذفونش (ا) فوثب عليه مورقاط فقتله ، فاختل أمرهم .

فدخل عليهم نائب عبد الرحمن بطليطلة في عساكره فقَتَلَ وغَنِمَ وسبى ، ثم عاد

سالماً ، وفيها توفِّي أبو القاسم بن واسول مقدم الخوارج الصفرية بسجلماسة فجأة في صلاة العشاء الآخرة ؛ وكانت إمارته اثنتي عشرة سنة وشهراً وَوَلِيَ بعده ابنه إلياس .

وفيها سيَّر المهدي سعيداً الحرشي في أربعين ألفاً إلى طبرستان ، وفيها مات

عمر الكلوذاني صاحب الزنادقة ووليَ مكانه محمد بن عيسى بن حمدويه ، فقتل من الزنادقة خلقاً كثيراً .

وحجَّ بالناس عليٌ بن المهدي الذي يقال له : ابن ريطة ، وفيها توفي يحيى بن سلمة بن كهيل ، وعبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة ، ومندل بن علي ومحمد بن عبد الله بن علاثة بن علقمة القاضي (2)، والحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ وكان قد استعمله المنصور على المدينة خمس سنين ، ثم عزله وحبسه ببغداد ، وأخذ ماله ؛ فلما وَلِيَ المهدي أخرجه ورد عليه ماله وكان جوادا ، إلاَّ أنه كان منحرفاً عن أهل بيته مائلاً إلى المنصور ، وفيها توفي بشر بن الربيع ، وعبثر بن القاسم (عبثر) بفتح العين المهملة وبالباء الموحدة والثاء المثلثة .

(1) صححه الاستاذ " الفوتس " .

(2) وكان يقال لابن علاثة : قاضي الجن كانت بئر يصاب من أخذ منها شيئاً فقال : أيها الجن إنا حكمنا ان لكم الليل ولنا النهار فكان من أخذ منها شيئاً في النهار لم يصبه بشيء .

ثم دخلت سنة تسع وشين ومائة
ذكر موت المهدي
في هذه السنة مات المهدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بما سبذان ؛ وسبب خروجه إليها أنه قد عزم على خلع ابنه موسى الهادي والبيعة للرشيد بولاية العهد ، وتقديمه على الهادي ، فبعث إليهم وهو بجرجان في المعنى فلم يفعل ، فبعث اليه في القدوم عليه فضرَب الرسول ، وامتنع من القدوم عليه ؛ فسار المهدي يريده فلما بلغ ماسبذان أكل طعاماً ثم قال : إني داخل إلى البهو أنام فلا توقظوني حتى أكون أنا الذي انتبه فدخله فنام ، ونام أصحابه ، فاستيقظوا ببكائه فأتوه مسرعين فقال : وقف على الباب رجل فقال :

كأني بهذا القصر قد باد أهله وأوحش منـه ربعـه ومنـازلـه
وصار عميدَ القوم من بعد بهجة وملك إلى قبـر عليـه جنـادلـه
فلم يبق إلا ذكـره وحـديثـه تنـادي عليه معـولات حـلائله

فبقي بعد ذلك عشرة أيام ومات ، وقد اختلفَ في سبب موته فقيل : إنه كان يتصيَّد فطردت الكلاَب ظبياً وتبعته فدخل باب خربة ، ودخلت الكـلاَب خلفه ، ثم تبعها فرس المهدي ، فدخلها فدَقَ البابُ ظهرَه ، فمات من ساعته ؛ وقيل : بل بعثت جارية من جواريه إلى ضرة لها بإناء فيه سم (1) فدعا به المهدي فأكل منه فخافت الجارية أن تقول : إنه مسموم فمات من ساعته .
وقيل : بل عمدت حسنة جارية له إلى كمثري فأهدته إلى جارية أخرى كان المهدي يتحظاها ، وسمت منه كمثراة هي أحسن الكمثري ، فاجتاز بالمهدي فدَعا به

(1) في الطبري " بلبأ فيه سم " واللبأ كعنب أول اللبن في النتاج .

وكان يحب الكمثري فاخذ تلك الكمثراة المسمومة فأكلها ، فلما وصلت إلى جوفه صاح جوفي جوفي فسمعت صوته فجاءت تلطم وجهها وتبكي وتقول : أردت أن أنفرد بك فقتلتك فمات من يومه ، ورجعت حسنة وعلى قبتها(1) المسوح فقال أبو العتاهية في ذلكَ :

رُحنَ في الـوشي وأقبلنَ (2)عليهنَ المسـوحُ
كل نطاحٍ مـن الـدنيـا(3)لـه يومٌ نطوحُ
لَمتَ بـالَباقي ولـو عمرت مـا عمـر نـوحُ
فعلى نـفسـك نـحْ إن كـنـت لا بـد تَنْـوح

وكان موته في المحرم لثمان بقيْن منه ، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً ،
وقيل : عشر سنين وتسعاً وأربعين يوماً ، وتوفي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ودُفن تحت جوزة كان يجلس تحتها وصلى عليه ابنه الرشيد، وكان أبيض طويلاً ، وقيل : اسمر باحدى عينيه نكتة بياض .

ذكر بعض سيرته

كان المهدي إذا جلس للمظالم قال : أدخلوا علف القضاة فلو لم يكن ردي المظالم إلا للحياء منهم لكفى.
وعتب المهدي على بعض القواد غير مرة وقال له في آخر ذلك : إنى متى تذنب ؟ قال : إلى أبد نسيء ويبقيك الله فتعفو عنا فاستحيا منه ورضي عنه .
وقال مسور بن مساور : ظلمني وكيلُ المهدي وغصبني ضيعة لي فكتبت إلى المهدي ، أتظلم فوصلت الرقعة وعنده عمه العباس ، ومحمد بن علاثة، وعافية القاضي فاستدناني المهدي وسألني عن حالي ، فذكرته فقال : أترض بأحد هذين ؟ قلت : نعم فاستدناني حتى التزقت بالفراش وحاكمني فقال له القاضي : أطلقها له يا

(1)في نسخة " وعلى فيها "ولعلها محرفة.
(2) في الطبري " وأصحن " .
(3) في الطبري " الدهر " .

أمير المؤمنين قال : قد فعلت فقال عمه العباس : والله لهذا المجلس أحبُّ إلي من عشرين ألف ألف درهم .
وخرج المهدي متنزهاً ومعه عمر بن ربيع (1) مولاًه فانقطعا في الصيد من
العسكر ، وأصاب المهدي جوع فقال : هل من شيء ؟ فقيل له : نرى كوخاً " فقصدوه ، فاذا فيه نبطي وعنده مبقلة فسلموا عليه فرد السلام فقالوا : هل من طعام ؟ فقال : عندي ربيثاء -وهو نوع من الصحناة - وعندي خبزُ شعيرٍ فقال المهدي : إن كان عندك زيت فقد أكملت قال : نعمٍ وكراث فاتاهما بذلك فاكلا حتى شبعا فقال المهدي لعمر بن ربيع : قل في هذا شعرا فقال :

ان من يطعم الربيثاء بالزيت وخبز الشعير بـالكراث
لحقيق بصفعـة أو بثنتين لسـوء الصنيع أو بثـلاث

فقال المهدي : بئس ما قلت إنما هو :

لحقيق ببـدرة أو بثنتين لحسن الصنيـع أو بثـلاث

قال : ووافاهم العسكر ، والخزائن ، والخدمُ ، فأمر للنبطي بثلاث بدر وانصرف ، وقال الحسن الوصيف : أصابتنا ريح شديدة أيام المهدي حتى ظننا تسوقنا إلى المحشر فخرجت أطلب المهدي ، فوجدته واضعاً خدَّه على الأرض وهو يقول : اللهم احفظْ محمداً في أمته ، اللهم لا تشمتْ بنا أعداءنا من الأمم ، اللهم إن كنت أخذت هذا العالم بذنبي فهذه ناصيتي بين يديك قال : فما لبثنا إلاَّ يسيراً حتى انكشفت الريح وزال عنا ما كنّا فيه .
ولما حضرت القاسم بن مجاشع التميمي المروزي الوفاة أوصى إلى المهدي
فكتب { شهد الله أنه لاَ إله إلاَّ هو والملاًئكة وأولو العلم }(2) الآية؛ ثم كتب والقاسم يشهدُ بذلك ويشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن علي بن أبي طالب وصف رسول الله ، ووارث الامامة من بعده ، فعرضت الوصية على المهدي بعد موته ، فلما بلغ إلى هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها .
(ا) في الطبري " عمر بن بزيع " وكذلك ما بعده .
(2)آل عمران : 18 .

وقال الربيع : رأيت المهدي يصلي في بَهْوٍ لهُ في ليلة مقمرة فما أدري أهو أحسن أم البهو أم القمر أم ثيابه ؛ فقرأ { فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم }(1) الآية؟ قال : فأتمَّ صلاته ثم التفت إليَّ وقال : يا ربيع قلت : لبيك قال: موسى فقلت في نفسي مَنْ موسر- ابنه أم موسى بن جعفر وكان محبوساً عندي ؟ فجعلت أفكّر فقلت : ما هو إلا موسى بن جعفر فاحضرته فقطع صلاته ثم قال : يا موسى إني قرأت هذه الآية فخفتُ أن أكون قد قطعت رحمك فوثَق لي أنك لا تخرج عليَّ قال : نعم فوثق له فخلاّه ، وقال محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : رأيت فيما يرى النائم في آخر سلطان بني أميّة كأني دخلت مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعتُ رأسي فنظرت في الكتاب الذي في المسجد بالفسيفساء(2)، فإذا فيه مما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، وإذا قائل يقول : يمحى هذا الكتاب ويكتب مكانه اسم رجل من بني هاشم يقال له : محمد قلت : فأنا من بني هاشم واسمي محمد فإبن مَنْ ؟ قال : ابن عبد الله قال : قلت فأنا ابن عبد الله فابن مَنْ ؟ قال : ابن محمد قلت : فأنا ابنُ محمد فإبن منْ ؟ قال : ابن علي قلت : فأنا ابن علي فابن مَنْ ؟ قال : ابن عبد الله قلت : فانا ابن عبد الله فابن مَنْ ؟ قال : ابن عباس فلو لم يبلغ العباس ما شككت أني صاحب الأمر قال : فتحدثت بها ذلك الزمان ونحن لاَ نعرف المهدي حتى وليَ المهدي فدخل لم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه فرأى اسم الوليد فقال : أرى اسم الوليد إلى اليوم فدعا بكرسي ، فألقي في صحن المسجد وقال : ما أنا ببارح حتى يمحى ويكتب اسمي مكانه ففعل ذلك وهو جالس .

وخرج المهدي يطوف بالبيت ليلًا فسمع اعرابية تقول : قومي مقترون ، نبت

عنهم العيون فدحتهم الديون ، وعضتهم السنون ، بادت رجالهم وذهبت أموالهم ، وكثرت عيالهم ، أبناء سبيل وانضاء طريق ، وصيّة الله ووصية الرسول ؛ فهل مِنْ آمرٍ لي بخيرٍ كَـلَأهُ الله في سفره وخَلَفَهُ في أهله ؟ قال : فأمر لها بخمسمائة درهم ، وقال المهدي : ما توسل أحد إلي بوسيلة هي أقرب من تذكيري يداً سلفت مني إليه اتبعها اختها ، وأحسن ربّها فإن منع الأواخر يقطع شكر الاوائل .

(1) سورة محمد 22 .

(2) في الطبري " بالفسافسا " .

وكان بشار بن برد قد هجا صالح بن داود أخا يعقوب حين وَليَ فقال :

هم حملوا فوقَ المنابرِ صالحاً أخاك فضجَّت من أخيك المنابر

فبلغ يعقوبَ هجاؤه فدخل على المهدي فقال له : إن هذا الأعمى المشرك قد
هجا أمير المؤمنين قال : وما قال ؟ قال : يعفيني أمير المؤمنين من إنشاده فأبى أن يعفيه فأنشده .

خليفـة يـزنـي بعـمـاته يلعب بـالدبـوقَ والصولجـان
أبـدلـنـا الله بـه غـيـره ودسَ موسى في حر الخيـزران

فوجّه في حَمْلِهِ فخاف يعقوب أن يقدمَ على المهدي فيمدحه ، فيعفو عنه ،
فوجّه إليه من يلقيه في البطيحة في الحمارة(1)
وماتت الياقوتة(2) بنت المهدي وكان معجباً بها لا يطيق الصبر عنها ، حتى أنه كان يُلبسها لبسة الغلمان ويُركبها معه ، فلما ماتت وجد عليها ، وأمر أن لا يحجب عنه أحد ؛ فدخل الناس يعزُونه ، وأجمعوا على أنهم لم يسمعوا تعزية أبلغ ، ولا أوجز من تعزية شبيب بن شيبة فإنه قال : يا أمير المؤمنين ما عند الله مما عندك خير لها منك ، وثواب الله خير لك منها ، وأنا أسأل الله أن لا يحزنك ولا يفتنك ، وأن يعطيك على ما رُزِئْت أجراً ويعقبك صبراً ، ولا يجهد لك بلاًء ولا ينزع منك نعمة ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده .

ذكر خلافة الهادي

وبويع لابنه موسى الهادي في اليوم الذي مات فيه المهدي وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان .
ولما توفي المهدي كان الرشيد معه بما سبذان فأتاه الموالي ، والقواد وقالوا له :
إن علم الجند بوفاة المهدي لم يؤمن الشغب ، والرأي أن تنادي فيهم بالرجوع حتى تواريه ببغداد .

(1) في الطبري " في الخرارة " .
(2) في الطبري " الباقونة " .

فقال هارون : أدعوا إلى أبي يحى بن خالد وكان يحيى يتولى ما كان إلى الرشيد
من أعمال المْغرب من الأنبار إلى افريقية ؛ فاستدعي بيحيى إلى الرشيد فقال : ما تقول فيما رأى هؤلاء ؟ وأخبرَه الخبر قال لا أرى ذلك لأن هذا لا يخفى ، ولا آمن إذا علم الجند أن يتعلقوا بمحملِهِ ويقولوا لا نخلي حتى يعطي لثلاث سنين وأكثر، أو يتحكموا ويشتطوا ، ولكني أرى أن يوارى رحمه الله ههنا .
وتوجه نصيراً إلى أمير المؤمنين الهادي بالخاتم ، والقضيب ، والتعزية ، والتهنئة فإن الناس لا ينكرون خروجه إذْ هو على بريد الناحية ، وأن تأمر لمن تبعك من الجند بجوائز مائتين مائتين وتنادي فيهم بالرجوع فلا تكون لهم همة سوى أهلهم ففعل ذلك . فلما قبض الجند الدراهم تنادوا بغداد بغداد وأسرعوا إليها ، فلما بلغوها وعلموا خبر المهدي أتوا باب الربيع وأحرقوه وأخرجوا من كان في الحبوس وطالبوا بالأرزاقَ.
فلما قدم الرشيد بغداد أرسلت الخيزران إلى الربيع وإلى يحيى بن خالد تستدعيهما لتشاورهما في ذلك ؛ فأما الربيع فدخل عليها ، وأما يحيى فامتنع لما يعلم من غيرة الهادي ، وجمعَ الأموالَ حتى أعطى الجند لسنتين فسكتوا .
وكتب الهادي إلى الربيع كتاباً يتهدَّده بالقتل ، وكتب إلى يحيى يشكره ويأمره بأن يقوم بأمر الرشيد .
وكان الربيع يود يحيى ، ويثق به ، فاستشاره فيما يفعل خوفاً من الهادي ، فأشار عليه بأن يرسل ولده الفضل إلى طريق الهادي بالهدايا ، والتحف ويعتذر إليه ففعل ورضي الهادي عنه .
وكان الربيع قد أوصى إلى يحيى بن خالد وأخِذَت البيعة للهادي ببغداد .
وكتب الرشيد إلى الآفاقَ بوفاة المهدي وأخذ البيعة لتهادي .
وسار نصير الوصيف إلى الهادي بجرجان فعلم بوفاة المهدي والبيعة له فنادى بالرحيل وركب على البريد مجداً فبلغ بغداد في عشرين يوماً؛ ولما قلمها استوزر الربيع .
وفي هذه السنة أيضاً هلك الربيع ، وفيها اشتد طلب المهدي للزنادقة فقتل منهم